مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: النجوم والكواكب في شعر المتنبي: دراسة موضوعية فنية
اسم الكاتب: ابراهيم مصطفى الدهون، فاطمة حسن السراحنة
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9150
تاريخ الاسترداد: 2026/06/07 09:17 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد B

المجلد 18، العدد 2
جمادى الأول 1443هـ / ديسمبر 2021م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

يونيو 2021م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 18 العدد 1 (A)
https//: doi.org/10.36394/jhss/18/2B/1

النُّجُومُ والكَوَاكبُ فِي شعرِ المتنبّيّ: دراسة موضوعيّة فنّيّة

إبراهيم مصطفى الدّهون[1]

فاطمة حسن السراحنة[2]

تاريخ الاستلام: 30-01-2020 **تاريخ القبول: 30-04-2020**

ملخص البحث:

ترمي هذه الدِّراسةُ إلى لفتِ النَّظر لظاهرةٍ فنّيّةٍ أجادَ المتنبّي التَّعاملَ معها، فامتدتْ إلى مساحاتٍ واسعةٍ من شعرِهِ؛ لتصافحَ مجرياتِ حيواته، وتغيراتها، وتطوراتها.

وإذا كَانَ المتنبّي قَدْ مَلأَ الدّنيا وشَغلَ النَّاسَ؛ فإنَّ الدِّراسةَ ستتوقفُ عندَ قضيةٍ أثارتِ المتلقي، ومدّته بمرئياتٍ مثرية حول ثقافةِ الشَّاعر بالنُّجومِ والكواكب ولاسيما إدراكُه العميق لمعانيها واستيعابه مَا فيها من أفكار وقيم جماليّة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوعاتِ التي اختلفَ إليها المُتنبّي.

ومهما يكنْ، فهذا البحثُ سيعرضُ لتعاملِ الشَّاعرِ مع الأجرامِ السَّماويّة، وكيفية توظيفها في أشعارِهِ بوصفها مواطنَ محاججة، قادرة على تفتيقِ عوالمِ السَّماء الغائرة ومصطلحاته المتمركزة في البنى النَّصّيّة تبعاً للمنهجِ الموضوعي الفنّيّ.

وبلوغ مقصد البحث يتطلب على المستوى المنطقي أنْ يؤدي وظيفةً عبر محورينِ اثنينِ، هما:

مدلولاتُ الكواكبِ والنُّجومِ والأجرام السَّماويّة في شعرِ المتنبّي.

أَثَرُ توظيفِ بدائع السَّماء ودراريّها في مكوناتِ وزخارفِ الصُّورةِ الفنّيّة.

الكلمات الدالة: الكواكبُ، النُّجُوم، المتنبّي، الأجرام، الصُّورة، العبَّاسيّ.

(1) كُليّة الآداب - الجّامعة الهاشميّة (الزرقاء - الأردن)

ibrahimdhoon@yahoo.com

(2) كُليّة الآداب - الجّامعة الهاشميّة (الزرقاء - الأردن)

توطئة:

كَشَفَ الشِّعرُ العربي القديمُ عن نظراتِ الشُّعراء وتصوراتهم الفكريّة للنّجومِ والكواكبِ السّماويّةِ، إذْ راحَ نفرٌ غير قليل منهم يرعونها ويتأمّلون حركاتِها ومساراتِها، فبوحي من تخيلاتهم رسموا صوراً نابضةً لطموحاتهم ورؤاهم بالحياةِ، فلا ينام أحدُهم إلاَّ بعد أنْ يغيبَ نجمُه أو يفرغَ من أحلامه، ومن هذا المنطلقِ استطاعَ الشَّاعرُ القديمُ أنْ يجعلَ منه معادلاً موضوعياً لتجربتهِ الذّاتيةِ، بحيث تصبح تلك الأجرامُ قناعاً أو مادةً زاخرةً يتحدث من خلالها عن تجربتهِ الخاصّة، ويتجلّى ذلك في غرضي الغزل والمدح (زايد، 1977م، ص20-21).

ومن تفاعلِ العرب مَعَ النُّجومِ والكواكبِ أنَّهم نسجوا حولَها الأساطيرَ والأقاصيصَ المهيبة، مثلما أنَّهم جعلوها من معبوداتهم وآلهتهم، وهذا مَا أشارَ إليه ابن منظور في لسانه عندما قالَ: «إنَّ العربَ سمّت الشَّمسَ عندما عبدوها آلهة» (ابن منظور، (ت711هـ)، 1978م، مادة شمس). وقدْ لفتتْ تلك المظاهرُ الفلكيّةُ التي تتحركُ وتتكررُ أمام الشَّاعرِ العربي في رقعةِ السَّماءِ الصّافيّة عقليته ممّا دعته إلى «النّظرِ والتأمّلِ والتفكّرِ، فكانَ ثمّة جوانب فكريّة، وأبعاد شعوريّة، وقيم جماليّة بدا أثرها واضحاً في مناحي تفكيره وخياله ومعتقداته وطقوس عبادته، كما ظَهرَ في تشكيلات فنّه وتضاعيف أدبه» (شامي، 1982م، 23-24). ولا نغفل في هذا المشهدِ دورَ القرآنِ الكريمِ من خلالِ حالةِ استحثاثٍ إلى التَّبصّرِ والنّظرِ في خلقِ السّماواتِ والأرضِ واختلافِ اللّيلِ والنَّهارِ والاهتداءِ بالنُّجومِ (آدم، 2000م، ص8).

وإنَّ هذه الرؤية يمكننا أنْ ندركَها في الخطابِ الرَّباني: « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (سورة البقرة، 164).

ولمْ يكنِ المتنبّي بدعاً في توظيفِ عوالمِ الفلكِ ومداراتهِ السَّماويّةِ في أشعارهِ، وإنّما نقرأ حيّزاً كبيراً من السّياقاتِ الدّلاليّة للنّجومِ والكواكبِ في أشعارِ السَّابقينَ والمعاصرينَ له من الشُّعراءِ، ومن أبرزهم: الشنفرى وحسّان بن ثابت والفرزدق والأخطل والحطيئة والخنساء وعمر بن أبي ربيعة والوأواء الدّمشقي وابن المعتز وابن الرّومي وغيرهم الكثير.

والـذي ينقّـبُ فـي الدّراسـاتِ النّقديّـةِ التـي وقفتْ طويـلاً عنـد موضـوعِ النُّجـوم والكواكـبِ فـي الشِّـعرِ العربـي يلاحـظ أنَّـه احتـلَّ قيمـةً كبـرى، وأصبـح أمشـاجاً متداخلـة لا تنفك مـن بنائيـةِ النَّـصِّ الشِّـعري، وينبثـق عنـه جوانـبُ التَّشـوقِ والاسـتطلاعِ والاقتـرابِ مـن الشَّـاعرِ والانفتـاحِ علـى مشـكلاته الخاصّـة والعامّـة، وجعلـه محـوراً فاعـلاً فـي الحيـاةِ.

ولعـلّ أوّلَ مَـا يلـوحُ للباحثيـنِ فـي هـذا المضمـارِ دراسـاتٌ شـتى- لسـنا بصـددِ دراسـتها- تنوعـتْ بيـن توليـفٍ محكـمٍ، أو أطروحـةِ دكتـوراه عميقـة أو رسـالة ماجسـتير محـددة أو بحـث علمـي رصيـن أو مقـال دقيـق، عالـجَ الظاهـرةَ، بوصفهـا اسـتعمالاً جـرى بيـن الشُّـعراءِ، وجـدوا فيهـا مسـعفاً لدفقاتهـم الشُّـعوريّة، ومجـالاً خصبـاً للإفصـاحِ عـن تجاربهـم المعاشـة، ومهربـاً للاسـتمتاعِ بالشُّـموسِ والأقمـارِ والنُّجُـوم الطبيعيـة.

ونظـراً لأهميـةِ النُّجـوم والكواكـبِ فـي أشـعارِ المتنبـي، ولأنّهـا تـؤدي رسـالةً عظيمـةً أنتجتهـا عبقريـةٌ ناضجـةٌ ومشـعّةٌ، كانـتْ قـد أثّـرتْ فيمـن اتّصلـتْ بهـم مـن الأمـراءِ والقـادةِ والحـكّامِ (الدسـوقي، 2006م، ص23)، فـإنَّ الدّراسـةَ الحاليّـةَ تلقـي ضـوءاً قويّـاً علـى اهتمامِـه بهـا وعالمهـا العُلـوي ولا سـيما أبعادُهـا المضمـرةُ، كمـا تحـاولُ أنْ تقرأهـا قـراءةً استكشـافيةً نـدركُ مـن خلالهـا أسـرارَها الفنّيّـة، ونتفهـمُ دلالاتِهـا المختلفـة، بعدّهـا ظاهـرةً جماليّـةً تمنـحُ نصَّـه وَهجـاً فنّيّـاً فَاعـلاً لا يبلـى ولا يبيـد.

لذلـك، يـرى الباحثـانِ أهميـةَ دراسـة تلـك الظاهـرة فـي شـعرِ المتنبّـي، رغبـةً منهمـا فـي اسـتجلاءِ طاقاتهـا الفنّيّـة وتشـكيلاتها اللّفظيّـة التـي تتداخـل فيهـا الحقيقـة مـع الرّمـز، بالإضافـةِ إلـى طموحهمـا الجـادّ فـي رصـدِ تجليـات العالـم السَّـماوي ومشـاهده فـي الشِّـعرِ، مـن خـلال التَّتبـعِ العمـودي لنصوصِـه الشّـعريّة؛ لأنّهـا تجسّـد رغباتِـه ومشـاعرَه مـن ناحيـة، وتظهـر نضوجـه واكتمالـه الإبداعـي فـي أركانِ الشِّـعرِ بوصفهـا منبعـاً لاسـتقاءِ الحكمـةِ مـن ناحيـةٍ أخـرى.

وفـي ضـوء مَـا تقدّم؛ يتكـئ البحـثُ علـى المنهـجِ الاسـتقرائي التّحليلـي ليعالـجَ الظاهـرةَ فـي جانبيـنِ اثنيـنِ، همـا:

1. مدلولاتُ النُّجوم والكواكب في شعرِ المتنبّي.

إنَّ الرَّاصـدَ للأفـقِ فـي أشـعارِ المتنبّـي يلحـظ مـدى اسـتئثار واسـتهواء مسـالك النُّجُـوم وحـركات الكواكـب عقليتـه الفـذّة، فـكانَ فـي اللّيـلِ متأمّـلاً مترقبـاً عالـم السَّـماء، وفـي النَّهـارِ ناطقاً مصرحـاً عـن خواطـرهِ وهمومـهِ؛ لينقـلَ أحاسيسَـه ويترجـم انفعالاتِـه، فيبـثّ مـا لصـقَ فـي ذاتـهِ

من علو الهمّة وعبقرية قريحته، وتضلعه بالعربيّةِ، ثمَّ إنّك لا تستلبث أنْ تجدَ المتنبّي مولعاً بذكرِ السَّماءِ ومتعلقاته.كما ينسجمُ انسجاماً كبيراً مع سحرِ شخصيته التي تستحوذُ على العالمِ المحيط به استحواذاً تامّاً، بما تملك من هالاتِ المهابة والجاذبيّة والطّموح العارم.

وليس هناك من شكٍ في أنَّ المتنبّي كَانَ يحملُ آمالاً جساماً، وعزائم ماضيات، لا تهرم ولا تشيخ، لذلكَ ارتبطَ بالعالمِ العُلوي ارتباطاً عميقاً، متجاوزاً الواقع السُّفلي، بوصفه عادياً ومألوفاً.ومن هنا أصبحتِ النَّجوم تجسيداً حقيقياً لحالتهِ الانفعاليّة الفكريّة، والمفاخرة الذاتيّة الهائجة والمندفعة نحو الارتقاء، وعلو المكانةِ، وفي ذلك يقول: (المتنبّي (ت354هـ)، 1997م، 4 / 120).

إذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقْنَعْ بِمَا دونَ النُّجُومِ

إنَّ الرَّائي حين يرجعُ البصرَ كرتينِ؛ فإنَّه يلمحَ رسالةً مرتبطةً بشخصيةٍ عظيمةٍ تواجه تحدياً خاصّاً لمكانتها الاجتماعيّة، وعلى هذا الشُّعورِ جاءتْ كلمةُ: (النُّجوم) مصدراً من مصادرِ الطموح الصَّاخب، وشكلاً من أشكالِ الفكرِ المتوقّد؛ لأنَّها تكرّس جانباً من الجوانبِ المشتعلةِ في نفسيةِ المتنبّي لا سيما ارتباطُ هذه اللّفظة: (النُّجوم) بصفتي المعالي والخلود.

من هنا، استقطبتْ صورةُ العالم العُلوي وظواهره الكونيّة ذهن المتنبّي.كما تستوقفنا في أشعارهِ افصاحاته وتطويعاته البارعة لعالمِ السَّماءِ في النَّماذجِ الآتية:

1. القمر وأحواله:

نَالَ القمرُ حظاً وافراً من اهتمامِ الشُّعراءِ السَّابقينَ واللاحقينَ لأبي الطيب المتنبّي، فحرصوا على استثمارهِ في كثيرٍ من موضوعاتهم الفنّيّة، نحو: الغزل، والمدح، والفخر، علاوةً على عناية الدَّارسينَ في مجالِ الأدبِ والبلاغة، بعدّه بديلاً حيّاً يعجُّ بالحياةِ والصَّفاءِ، ويحتفل بما تشتهي إليه نفوسهم من صفاتِ الإثارةِ والإغراءِ التي ظلَّ الشُّعراءُ ينقّبونَ عنها في محبوباتهم من جهةٍ وفي ممدوحيهم من جهةٍ ثانية.

ولا عجب، إذنْ، أنْ يستنطقَ المتنبّي المحيطَ السَّماوي المتلألئ، فتتفجرُ طاقاته النّفسيّة، ولغتهِ الإبداعيّة في سياق مدحي حين يذكر سيفَ الدّولة.إذْ يعطيه منزلةً رفيعةً، ومكانةً ساميةً، تتجاوز أقرانه من الأمراءِ، فمَا كَانَ منه إلا أنْ يرتقيَ به إلى مرتبةٍ تفوق الهلال، كقولهِ: (المتنبّي، 1 / 43)

فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إلى العُلا إِدُمُ الهِلالِ لِأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ

إنَّ النّظـرةَ الأولـى للنّـصِّ تجعلنـا نظـنُّ أنَّ الخطـابَ يتحـدثُ عـن مواقـف سـاخرة تهكميّـة أرسـلها المتنبّـي إزاء مهجـوه، «غيـر أنَّ القـراءةَ النَّبيهـةَ العارفـةَ بلعـبِ الشُّـعراء سُـرعان مـا تهتـدي إلـى أنَّ المقصـودَ ليـس ظاهـر اللّفـظ» (بومنجـل، 2010م، ص119)، ولكـن لازم معنـاه الـذي يـرادُ بـه صـورةً إشـعاعيّةً باهـرةً لمقـام الممدوحِ.فمـن خـلال صـورةِ الهـلال نعيـشُ مكانـةَ هـذا الأميـر العربـي وبلوغـه مـن العـلا حيـثُ لـمْ يبلغـه أحـدٌ منهـا، وبمـا أنَّ ملفوظـةَ: (الهـلال) ترتبـطُ بـدلالاتٍ متعـددةٍ، مثـل: العلـو والانشـراح والبِشـر؛ فـإنَّ الشَّـاعرَ قـد تعمّـدَ خلـق حالـة قائمـة علـى المفاجـأةِ والتّوقـع والفجـوات التـي ينكسـرُ أمامهـا أفـق انتظـار المتلقـي، وتتجسـدُ الصّـورة باتـكاءِ المتنبّـي علـى تقنيـةِ المفارقـة (فضالـة، 2013م، ص249)، وتحقـق هـذا حينمـا اسـتحق أنْ يكـونَ الهـلالُ نعـلاً لقدمـي سـيف الدَّولـة كنـوعٍ مـن الإشـادةِ والإعـلاءِ مـن شـأنهِ.

ويمـزجُ المتنبّـي بيـن نوعيـنِ مـن النّـاسِ: الشُّـجاع الثَّائـر، وتتمثّـل صفاتـه بالتّضحيـةِ والنِّضـال والجـود بالنّفسِ، وهـم القلـة الطليعيـة، والخانـع الذّليـل ممّـن استسـلمَ للفسـادِ والظلـمِ ويكرههـم (الجنـدي، 1992م، ص37)، ومثـل النّـوع الأوّل يتـردّدُ كثيـراً فـي أشـعارهِ؛ لأنَّـه يعكـسُ حياتـه الثّوريّـة، وأحلامـه العريضـة الواثقـة، ولعـلَّ هـذا النّمـوذج الـذي يسـوقه لصـورةِ البطـلِ: (عضـد الدّولـة) يكشـفُ مسـوغاتِ النّظـر لجرمـي الشّـمس والقمـر فـي أسـوقةِ المـدحِ، قائـلاً: (المتنبّـي، 4 / 283)

وَدارَتِ النَّيِّرَاتُ فِي فَلَكٍ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لأَبْهَاهَا

لقـد مثّلـتِ الرّؤيـةُ العُلويّـةُ الملتهبـةُ: (النيّـرات، فَلَـك، أقمارهـا) النـواةَ الأساسـيّةَ التـي قـدّم المتنبّـي مـن خلالهـا سـجّلاً حَافـلاً بالشّـرفِ والشُّـهرةِ مـن الأوصـافِ التـي يُثنـى علـى ممدوحـه بسـببها، وليـس عجيبـاً أنْ نـراه يرسـمُ صـورةً حركيـةً لاختـلاطِ الجيـوش فـي بعضهـا بصـورةِ فلـك تـدور فيـه نجومـه، فضـلاً عـن تشـبيههِ ملـوك الجيـوش بالأقمـارِ، بينمـا نجـدُ أميـرَهُ شمسـاً موسـومةً بالضيـاءِ والإشـراقِ.وكأنَّ الشَّـاعرَ ابتغـى مـن هـذا التَّكثيـفِ الصـوري السَّـماوي احتضـان انفعالاتـه الوجدانيّـة وحمولاتـه النّفسيّة بوصفـهِ زعيمَ مدرسـةٍ شـعريّة.ويبدو أنَّ العلاقـةَ بيـن عضـدِ الدّولـة نصيـر الأدب والفـنّ وبيـن المتنبـي كانـتْ حسـنة جـداً، فلـم يضـعْ بعـد فتـرة ترقـب (البديعـي (ت1073هـ) 1308هـ، 1 / 209) حـداً لعطايـاه مـن التفاتـات لطيفـة إلـى مظاهـر تقديـر خـاص، كمـا أنَّـه لـم يـألُ جهـداً فـي أنْ يكسـبَ أبـا الطيـب إلـى صفّـهِ، وثمّـةَ دلالاتٌ أخـرى تؤمـي مـن جهـة الشَّـاعر- قـد بـرزتْ فـي النَّـصِّ السّـابقِ-أنَّه كَانَ شـديدَ التَّأثـر بذلـك

العطـاءِ، معلنـاً علـى كلِّ حـالٍ امتنانـه ومودتـه لولـيّ نعمتـه (البغـدادي (ت453هــ)، بـولاق، 1399هــ، 1 / 388).

دأبَ المتنبّـي علـى مـدحِ سـيف الدَّولـة، ولا غـرو فـي ذلـك، فالشَّـاعرُ مهـوسٌ بشـخصيتهِ، معتـرفٌ لـه طوعـاً بالـرّأي والشَّـجاعةِ والنَّفس الحـرّة، ويتجلّـى المشـهدُ فـي توظيفاتـه الهـادرة ودلالاتـه الايجابيّـة للقمـرِ لمّـا مدحـه فـي اسـتنقاذهِ ابـن عمّـه أبـي وائـل تغلـب بـن داوود مـن الأسـرِ، فقـالَ: (المتنبّـي، 3 / 25)

ومَنّاهُمُ الخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ
كَأنَّ خَلاصَ أبي وائِلِ مُعاوَدَةُ القَمَرِ الآفِلِ

لعـلَّ أوّلَ مـا يلـوحُ للقـارئ فـي النَّـصِ السّـابقِ مـدى صلـة المتنبّـي الوثيقـة بسـيفِ الدّولـة، ونسـتطيعُ أنْ نتلمـسَ شـيئاً مـن ملامـح تلـك الصّلـة بنـاءً علـى غـزارةِ ألفـاظِ الشّـرف والقـوة بمـا لـدى ممدوحـه، مـن قـدرةٍ فائقـةٍ علـى العطـاءِ، ووعـدٍ نافـذٍ عنـد الفـداءِ لحظـة أسـر ابـن عمّـه. وحتّـى لا ينسـى الشّـاعر فضـل أبـي وائـل علـى قومـهِ سَـاقَ شـاهداً باهـراً لعودتـهِ مـن الأسـرِ، وقـوام هـذا الشَّـاهد الامتـزاج مَـعَ عالـمِ السَّـماء علـى أسـاسِ أنَّ ابتعـادَه شـكّل ظُلمـةً قاتمـةً، فلمّـا عَـادَ كانَ قمـراً منيـراً، نشـر مكنونـات الابتهـاج والسّـرور والانشـراح علـى المـكانِ والإنسـانِ معـاً.إذْ يمكـنُ أنْ نعـدَّ اسـتثمارَه لصـورةِ القمـرِ فـي هـذا الموضـعِ مثـالاً علـى الصّياغـةِ البديعـةِ والمعانـي ذات الصّلـة بالنّـورِ والإدهـاشِ والاتّقـادِ.

ومـن مظاهـرةِ قـدرة الشَّـاعرِ الفائقـة فـي توظيـفِ عنصـرِ القمـر فـي نصوصـهِ أنَّـه لا يأتـي دائمـاً نمطًـا واحـداً، بـل يخلـط بيـن أنماطـهِ ومراحلـهِ، ومـن الرّقـعِ العميقـةِ التـي اتّـكأ عليهـا اسـتثماره الرَّصيـن للقمـرِ وعُـدَّ مقومـاً مـن مقومـاتِ قدراتـه التَّصويريّـة مرحلـة المُحـاق؛ ليعبّـرَ عـن معانـي النّقصـان والغايـةِ التـي يجـري إليهـا المصيـر ضمـن مدحـه أبـي البشـائر، فيقـول: (المتنبّـي، 2 / 374)

كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي المَوْتِ حُسْنَاً كَبُدُورٍ تَمَامُهَا فِي المُحَاقِ

رَسَـمَ الشَّـاعرُ مـن مرحلـةِ المُحـاق للقمـرِ مدخـلاً إبداعيّـاً، أسـهمتْ عناصـره فـي شـحنِ فضـاء النَّـصِّ بالفنـاءِ والأفـولِ؛ لأنَّ المحـاقَ غايتـه النّقصـان، وهـو ضـد الكمـال، وهـذا ينسـجم ويتـلاءم مـع قولـه: (يَزِيـدُ فـي المَـوْتِ حُسْـناً) ؛ ليظهـرَ أنَّـه مـن قـوم أحسـن أحوالهـم عندهـم أنْ يقتلـوا فـي طلـبِ المجـد، فشـبّههم ببـدورٍ تمامهـا فـي مُحاقهـا، فأشـارَ بـأنَّ البـدورَ يفضـي أمرُهـا

إلـى المحـاقِ، فهـو غايتهـا التـي تجـري إليهـا، ومصيرهـا الـذي تصيـرُ إليـه، وهـؤلاء القـوم تمـام أمرهـم قتلهـم (المتنبّـي، 2 / 374). ومـا يجذبنـا فـي النّـصِّ التَّحـولُ والانطلاقـةُ مـن البعـدِ العُلـوي (السّـماء) : (كبـدور، المحـاق) فـي ممازجـةٍ تفاعليـةٍ مـع الـذاتِ الشَّاعرة.وحسـبنا أنْ نسـتحضرَ مشـهدَ تحـول ذات الإنسـان فـي هـذا النَّـصِّ إلـى بـدرٍ مـا لبـث هـو الآخـر أنْ شَـهدَ ضربـاً ثانيـاً مـن التَّغييـرِ إلـى مُحـاق بصـورةٍ تشـيع فيهـا دلالات المـوت والخـراب (عبيـد، 2014م، ص484).

إنَّ علاقـةَ المتنبّـي بعالـمِ السَّـماءِ فـي حقيقـةِ الأمـرِ علاقـة وشـيجة شـديدة الاحتفـال والتَّلاحـم بمكوناتـه، تأتـي لتكشـفَ كوامـن الشَّـخصية، ويخلـطُ فيهـا كثيـراً بيـنَ الشَّـمسِ والقمـرِ فـي موضـعٍ واحـدٍ؛ ليدلـلَ علـى انفعالاتِـهِ المتضخمـة تجـاه الواقـع، فهـو المـلاذُ الآمـنُ لأحلامـهِ وتلهفاتـهِ للمجـدِ والنّفـوذِ، حيـثُ النّضـالُ والانفتـاحُ علـى فضـاءٍ أكثـر امتـداداً وشـموخاً؛ لذلـك قـالَ مادحـاً سـيف الدَّولـة، وقـد وردَ رسـول الـرّوم يطلـب الهدنـة: (المتنبّـي، 3 / 421)

فَلَيْسَ لشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ وَلَيْسَ لبَدْرٍ مَا تَمَمْتَ تَمَامُ

تدفعنـا قـراءةُ النَّـصِّ السَّـابقِ إلـى الإقـرارِ بأهميـةِ شَـاعريّة المتنبّـي فـي طرائـقِ التَّصويـر وضروبـه، وذلـك انطلاقـاً مـن ن الشَّـمسِ المنيـرةِ التـي أصبحـتْ أمـام نـور سـيف الدّولـة خافتـةً، ومـن الطرافـةِ بمـكان أنَّ حرارتهـا انصهـرت، وضوءهـا خفـت، وفـي هـذه الصـورةٍ إلمـاحٌ إلـى قـوةِ تأثيـرِ سـيف الدَّولـة، وبصـورةٍ أخـرى نجـد عنـده رغبـةً ملحّـةً ودعـوةً صادقـةً فـي وصـفِ الممـدوح، بـل مـالَ إلـى مبالغـةٍ كبيـرةٍ عندمـا رآه أتـمَّ مـن البـدرِ؛ ليجسّـدَ صرخـاتٍ وآهـاتٍ مضمـرةً تبـوحُ بهـا نفسـه الدّاخليّة.وعلـى هـذا الأسـاسِ «إنَّ التـوازنَ واضـحٌ بيـن التّصويـرِ والتّعبيـرِ، وبيـن مـا يحتـدم فـي نفـسِ الشَّـاعرِ مـن ثـورةٍ عَارمـةٍ، هدفهـا تحطيـم دولـة الخـدم والعبيـد، وإقامـة دولـة جديـدة شـامخة تحقـق حلمَـه فـي إقامـةِ دولـةٍ عربيـةٍ، تقضـي علـى كلِّ هـذا الانحطـاطِ والارتـكاسِ» (الدسـوقي، 2006م، ص244).

اسـتغلَّ المتنبّـي كعادتـهِ كلَّ مـا أتيـح لـه مـن مشـاهدِ السَّـماءِ بأسـلوبٍ صَـادعٍ وواعٍ لا يخلـو مـن براعـةٍ وعبقريـةٍ واضحتيـنِ؛ كـي يحقـقَ غاياتِـه وآمالَـه الفسـيحةَ.ولننظرَ إلـى هـذهِ الرَّشـقةِ المدحيّـةِ فـي سـيفِ الدَّولـة، إذْ يقـولُ: (المتنبّـي، 2 / 89)

أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ وَمُخْطِئُ مَنْ رَمِيُّهُ الْقَمَرُ

تسـنّمَ سـيفُ الدّولـة فـي نفـسِ المتنبّـي مكانـةً سـنيّةً ممّـا دفعـه إلـى الاتكاءِ علـى صـورةِ القمر، بوصفهـا مـادةً ثريّـةً تمتلـئ أبنيـةً حيويّـةً، تتناسـلُ فيهـا فضـاءاتٌ شـعريّةٌ واسـعةٌ، مـن مضامينهـا

الإطلالـة والكبريـاء النّزقـة؛ ليقدّمَ صـورةً تتوافـقُ مـع مقـامِ ورفعـةِ الممـدوح، ولا سـيما دعـاؤه لـه بـأنْ لا تصيبـه سـهام الأعـداء، فهـو قمـرٌ لا يصـل لرفعتـهِ شـيء.ولئن كَانَ الخِطـابُ الشِّـعري السَّـابق فـي الأسـاسِ مِدْحَـةً سـعيدةً، فقد كَانَ مـن مقاصـدهِ الدِّلاليّـةِ إلماحـةٌ محمومـةٌ إلـى خصـومِ الشّـاعرِ، ودسائسـهم، فـإذا مـا كاده المتآمـرونَ، ولـم يكونـوا يسـتنكفون عـن ذلـك قـط، بالرّغـم مـن أنَّهـم لـم يبلغـوا مآربهـم (بلاشـير، 2001م، ص185)، سـرعان مـا ينقلـب إلـى مديحٍ ذاتـي علـى نحـو مـا نلحظُـه بالموقـفِ الفخـورِ لصـورةِ القمـرِ تمجيداً لنفسـه.

2. الشَّمسُ:

اهتـمَّ العـربُ بالشَّـمسِ اهتمامـاً ملحوظـاً، إذْ كَانَ مـن أسـمائهم (عبـد شـمس)، وهـذا معلـوم بأنَّـه اسـمٌ لأحـد آلهتهـم فـي الجاهليّـةِ، ومـا فيـه مـن التّقديـسِ للشّـمسِ، ولعـلَّ طائـرَ الهدهـد فـي قصّـةِ سـليمان عليـه السّـلام يؤكـد ذلـك فـي قولـهِ تعالـى: «وَجَدتُّهَـا وَقَوْمَهَـا يَسْـجُدُونَ لِلشَّـمْسِ مِـن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّـنَ لَهُـمُ الشَّـيْطَانُ أَعْمَالَهُـمْ فَصَدَّهُـمْ عَـنِ السَّـبِيلِ فَهُـمْ لَا يَهْتَـدُونَ» (النَّمـل، 24). ونحـنُ إذا مَـا نظرنـا فـي ملافيـظ الشّـمس فـي أشـعارِ المتنبّـي وجدناهـا أيقونـةً ماثلـةً، وتسـجّل حضـوراً قصديـاً ولا سـيما فـي أمدوحاتـه التـي اقتنصـتْ مِـن العالـمِ العلـوي كثيـراً مـن مرموزاتها ومضمراتهـا ووجـه مـن وجـوه إعـلاء الشَّـأنِ، ومـن وقفاتـهِ مـا قالـه فـي مـدحِ سـيف الدَّولـة الحمدانـي: (المتنبّـي، 2 / 97)

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَـالِـعَةً كَمَـا تَـكَسَّـبَ مِـنْـهَـا نُـورَهُ الْـقَـمَرُ

يكشـفُ التَّأمّـلُ فـي شـعرِ المتنبّـي مكانـةَ سـيف الدَّولـة بصـورةٍ تقـومُ علـى مخاتلـةٍ منتجـةٍ تـرومُ إلـى إثـارةِ نفس المتلقـي إضافـة إلـى إضفـاءِ النَّداعيـات الجماليّـة المحفّـزة علـى اسـتعذابِ فضائـل وأفعـالِ الممدوح.بحيـث رسـمَ لـه صـورةً مشـرقةً، تفـوق الشَّـمس فـي الإضـاءةِ والنّـورِ، فأصبـحَ مصـدراً جالبـاً للرؤيـةِ الواضحـةِ، والضيـاءِ النَّضيـرِ خصوصـاً فـي سـياقِ القمـرِ الـذي اسـتمدَّ نـورَهُ مـن الشَّـمسِ.ويتراءى جليّـاً عنـدَ النَّظـرِ الفاحـصِ فـي «منظومـةِ الصّفـاتِ التـي ظهـرتْ مـع شـخصيةِ الممـدوح أنَّهَـا لـم تعـدْ واقعيـةً وحقيقيـةً، إنَّهـا، فحسـب، صفـات يسـتلزمُ الغـرض الشِّـعري قولهـا مُـذْ كَانَ الهـدفُ اسـتدرارَ العطـاءِ» (الغذامـي، 2005م، ص150). غيـر أنَّ اسـتدعاءَ موصوفـات السَّـماء وطاقاتهـا الإيحائيـة لهـا نصيـب وافـر فـي خطابـهِ الشِّـعري.

ولتحقيـق هـذه المقاربـة مـع الشَّـمسِ نلحـظُ أنَّ تبجيـلَ الشَّـاعرِ لسـيفِ الدّولـة وجـلاء قيمتـه دعتـه إلـى توظيفـهِ عناصرهـا واسـتظهار مباهجهـا، حيـثُ تختبـئ خلفهـا أنسـاقٌ فكريّـة تكشـف

عن حقيقةِ شخصية المتنبّي حينَ راحَ يمنّيها بالأماني العظيمةِ، ويزيدها توهجاً بالبطولاتِ والأداءِ الإنساني، ويعمقُ استحقاقه للمكارمِ والاحتفاءِ.كما هي الحال في المشهدِ التالي: (المتنبّي، 2 / 382)

مَنْ يَعْرِفِ الشَّمسَ لَم يُنكِرْ مَطالِعَهَا وَيُبصِرِ الخَيلَ لا يَستكرِمِ الرَّمَكَا

لو تفحصنا الخطابَ السَّابقَ لوجدنا الشَّاعرَ ينقلُ صورتينِ: الأولى للشَّمسِ في انبلاجها وانفتاقها، وبالنسبةِ للممدوحِ جاءتْ مقابلةً تأصيليّةً له.فمن يعرف الشّمسَ لا ينكر مطالعها، وبالتّالي يواجه المتنبّي إنساناً جديراً مشابهاً لها، بما يظهره من عطفٍ وعطاءٍ، فهو ذو كرمٍ أصيلٍ، لا يعجز عن إقامةِ حدث مهما كانَ صعباً، والثَّانية قوامها من يبصر عتاق الخيل لم يستكرمْ هجان الخيل الرَّمك.وفوق ذلك، فإنَّ هاتينِ الصّورتينِ (الشَّمس، الخيل) في المشهدِ المدحي، يمكن أنْ تضعا أيدينا على تقديمِ صورةٍ حقيقيةٍ لدورِ الممدوحِ الإنساني العظيم في صنعِ الحياةِ الجميلة.فقد بدأ، متألقاً على صعيدِ الفعلِ البطولي، بوصفهِ صانع مجد الحياة وبهائها.وقد اعتمدَ الشّاعرُ في إبرازِ هذه الصّورةِ على ثقافاتٍ متعددةٍ؛ ممّا يعني أنَّه نسقٌ اتّسمَ بتعددِ الثَّقافاتِ في هذا المشهدِ (المرازيق، 2009م، ص271).

وإذا كَانَ سيفُ الدَّولة قد انفردَ بالسّلطانِ والبطولةِ والنَّباهةِ بين أقرانهِ من الأمراءِ الحمدانيين؛ فإنَّ المتنبّي كَانَ صوتاً خاصّاً بين مجايليه من فحولِ الشِّعرِ العبَّاسيّ في مدرسةِ سيفِ الدّولة الشّعريّة؛ لذا حَاولَ إعطاء هذا الامتداد النّبوغي قيمةً عظيمةً، محاولاً اختراق نفوس أعدائه بالتّحدي والمغالبةِ والمكاسرةِ، لكنَّها تتلفعُ برداءِ التّوثب الانفعالي التي تطالعنا في تعزيته لسيفِ الدَّولة عن يماك التركي، حيثُ يقولُ: (المتنبّي، 2 / 69)

وفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمسَ نُورَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأتِي لَهَا بِضَرِيْبِ

ويستوقفنا في هذا النَّصِّ تصريحُ الشَّاعرِ بالنّهوضِ بصورةِ البطل أمام الكاشحينَ والمجهدينَ أنفسهم لئن يأتوا بإنجازاتهِ وانتصاراتهِ «فتأخذه نشوةُ الإحساسِ بالتّفوقِ على الآخرِ، وبمطاوعةِ القريضِ له في حسنِ التَّصويرِ واهتبال اللّذة الفنية» (أبو الخير، 2017م، ص361-362)، ويستشعرُ أنَّه شمسٌ سَامقةٌ لا تتطلب أجراً أو ثمناً لنورها، فكما كَشَفَ الشَّاعرُ عن فضائح ما يسترون به أنفسهم، كشفَ عن سوءاتِ المتآمرين عليه من الشُّعراءِ، فخلعَ عن خصومهِ قناعَ الشِّعريّة الزائفة؛ لأنَّهم عاجزونَ عن اللحاقِ به، وذلك يتجلّى بقوله: (وَيَجْهَدُ أَنْ يَأتِي...).

ويبدو واضحاً من النَّصِّ الشِّعري السَّابقِ أنَّ شهرةَ المتنبّي وذيع صيته فضلاً عن تربعه عرش الشِّعر في بلاطِ سيف الدّولة سَاءتْ فريقاً من الحُسَّادِ واللّغويين وأدعياء الكلام، فلم يجدوا أمثل من إثارةِ الشّكوك العلميّة والأخطاء اللّغويّة والتّجاوزات العروضيّة حوله، ودمغه بالسّرقاتِ لا سيما الإغارةُ على أشعارِ الآخرين وانتحالها، فمَا كَانَ منه إلا أنْ جابههم بما أوتي من قوةِ نفس وصلابةِ شخصية، جَاعلاً التُّهمة زعماً مفترى، وإخال أنَّ وفرةَ استشهاده بالشَّمسِ تقف دليلاً عضيداً على دحضهِ افتراءات وتخرّصات الوشاة (الدروبي، 2007م، ص245).

وممعنُ النَّظرِ في قصائدِ المتنبّي يلاحظ أنَّ توظيفاتِ الشَّمسِ واستثمارها بهذهِ الإمكانيّة المتاحة جاءتْ أكثرها في سياقِ المدحِ، ولعلَّه أرادَ من ذلك أنْ يثبتَ لغيرهِ أنَّه شَاعرُ النّبوغ وقامة مميزة «له طموح غير محدود، رسّخه في نفسهِ ثقة كبيرة بقدراتٍ عقليّة يتمتع بها، ويفتقر لها سواه، وشاعريّة فذّة، بذّ (بالذال) بها أقرانَه، وتفوّقَ بها على ما من سبقه، وبهاتين الخصلتينِ انطلقَ لتحقيق ما يصبو إليه.وإذا ما واجهته الصّعابُ، وحالتْ دون رغبته الظروفُ التي لم يحسبْ لها حساباً، ولم يقدرها حقّ قدره، أنحى باللائمةِ على الدُّنيا» (حور، 2007م، ص34-35).

وبعدَ هذا الشُّعورِ بالرّأي الثّاقبِ والعقلِ الواعي، فليس عجيباً أنْ نراه يشرك شيّات السّماء معه، نحو: (الشَّمس، والقمر، والنُّجوم)، ويخصُّ الشَّمسَ بمقطوعاتٍ عديدةٍ تتمازجُ عناصرها، امتدت من رؤيتهِ للممدوحِ إلى رؤيتهِ لذاته؛ لعلّه يجدُ فيها بغيتَه، ويفلت بجلدهِ من معاشرةِ الأوغادِ الأراذلِ ومجالستهم، تَاركاً السّفوحِ والمنحدراتِ والأخاديد والوهاد لزعانفِ الشُّعراء؛ لتسمو نفسه إلى القممِ العاليةِ والجنوحِ إلى التَّحدي والمواجهةِ والاستعلاءِ.

ويوسّعُ المتنبّي الدَّائرة في استثمارهِ العالم العلوي، فيقطفُ صورةً متعددةَ الألوان من مكانٍ واحدٍ، تتآلف مكوناتها.حيث يقولُ في مدحِ أبي العشائر، ويودعه إذْ أرادَ سفراً: (المتنبّي، 4 / 269)

سُبْحانَ مَنْ خَارَ لِلكَواكِبِ بالْـ ـبُعْدِ وَلَوْ نُلْنَ كُنَّ جَدْوَاهُ
لَوْ كَانَ ضَوْءُ الشُّموسِ فِي يَدِهِ لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأفْنَاهُ

وحرصاً من المتنبّي- في سياقِ المدح- على إبرازِ قيمة شعره، « فإنَّه يأخذ في إثباتِ ذاته المفعمة بالثقةِ في النَّفسِ، على نحو ما نرى أنَّ الشِّعرَ عنده وسيلة لإدراك غايات

كثيـرة، بعضهـا يتعلـقُ بالممـدوحِ، وبعضهـا الآخـر يتعلـق بالشَّـاعرِ» (أبـو الخيـر، 2017م، ص358). أمَّـا يتعلـقُ بالممـدوحِ فعطايـاه وهباتـه ومآثـره الجمّـة، ارتقتْ بـه؛ لأنَّـه لـو ملـكَ ضـوء الشّـمس والقمـر وغيرهمـا لفرّقـه بيـده لسـعةِ جـوده وفضلـه الكبيرين.وأمّـا مـا يتعلـقُ بالشَّـاعرِ فهـو أرادَ أنْ يقـرنَ نفسـه بالآخـر، أو يماثلهـا، ونسـتطيع بنـاءً علـى بنيـة اللّغـة الشّـعريّة، مثـل: (خَـارَ لِلكَواكِـبِ بالبُعـدِ، وضَـوْءُ الشُّـموسِ) أنْ نلتمـسَ شـيئاً مـن ملامـحِ الاعتـداد بالشّـخصيةِ، والإحسـاسِ بقوتـهِ وتفوقـهِ علـى خصومـهِ ومكايـدِ حسّـادهِ.ولعلَّ فـي هـذا رغبـةً سـافرةً منـه أنْ يستثمرَ ظاهـرةَ الكواكـبِ فـي شـعرهِ اسـتثماراً مضمـراً بشـكلٍ ملفـتٍ للانتبـاهِ، عَبّـرَ بـه أنَّ أحـداً مـن معاصريـهِ لـن يبلـغَ شـأوه، ولـنْ ينـالَ حظَّـه فـي إشـباعِ نصّـهِ الشِّـعري وإثـراء دلالاتـه الفكريّـة وتخصيبـه بالأصـولِ والتَّأثيـر الجمالـي.

ولا شـكّ أنَّ المتنبّـي كَانَ شـاعراً بليغـاً، نابغـة عصـره، «حيـث كانـت ألفـاظُ شـعره تحمـلُ كلَّ مـا يتكتّمـه مـن الكراهيـةِ والازدراءِ والاسـتنكافِ ممّـا هـو فيـه، وإنْ كَانَ ظاهرُهـا يخـدع سـامعه عـن حقيقـة مـا يكتّمـه» (شـاكر، 1987م، ص73).

3. كواكب ونجوم أخرى.

حَفـلَ شـعرُ المتنبّـي بالحديـثِ عـن الكواكـبِ والنُّجـومِ حديـث العالـم العـارف بمواقعهـا وأسـاطيرها، والفلكـي العليـم بمواقيتهـا (الشّـيراوي، 2004م، ص131)، لـذا امتـلأتْ أشـعارُه بمظاهرِهـا وأسـرارِها، فيـزدادُ الأمـرُ انكشـافاً وبيانـاً حينمـا تعكـسُ المنـاخَ النَّفسـي والفكـري للشَّـاعرِ، وتغذي ذاتَـه الشَّـاعرة، وتحمـلُ عنـه بعـض أعبـاء روحـه المثقلـة بالهمـومِ والمواجعِ.أمَّـا عـن توظيفـهِ الثُّريـا- «وهـي سـتة نجـوم تصيـر فـي الشـتاءِ علـى شـكل مثلـثٍ متسـاوي السـاقينِ فـي كبـدِ السَّـماء» (القلقشـندي (ت821هـ)، د.ت، 2 / 165)، والاسـم مشـتق مـن الثّـروةِ، وهـي كثـرة العـدد- فقـد رأيناهـا تشـكّل رافـداً فنّيـاً ورمـزاً ثريّـاً فـي المـدحِ الذّاتـي الرّاشـح فـي قولـهِ الآتـي، ممّـا جَعـلَ النَّـصَّ يطغـى عليـه إيقـاع ذاتـي يرتسـم خلالـه تجربـة قائلـه: (المتنبّـي، 2 / 155)

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكادُ بُيوتُهُ ... إِذَا كُتِبَتْ يَبيَضُّ مِنْ نُورِهَا الحِبْرُ
كَأَنَّ المَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلائِقُكَ الزُّهْرُ

لَيْسَ مـن سـبيلِ المُصادفـةِ أنْ يطلـقَ الشَّـاعرُ علـى شـعرهِ فـي بهـاءِ معنـاه وجماليّـة ألفاظـه نجـوم الثُّرَيَّـا، حُسـناً وجزالـةً، إلا أنَّ إصـرارَه علـى الاسـتحواذِ والاشـتهارِ كَانـا مدعـاةً إلـى

العـبِّ مـن معيـنِ السَّـماء العَالي.والمتلقـي لا يحتـاج إلـى طويـلِ تأمّـل فـي البحـثِ عـن أسـبابِ ولـع المتنبّـي بالكويكبـاتِ والنّجيمـات حتَّـى يتداعـى إلـى ذهنـهِ «أنَّ خصوصيتـه تكمـن فـي كونـهِ حالـة شـعوريّة مهيـأة فـي كلِّ لحظـةٍ للقبـضِ علـى قافلـةِ الأقمـارِ والنُّجـومِ متشـابكة العُـرى؛ ليقدّمهـا إبداعـاً مشـحوناً بالانبهـارِ والدّهشـةِ والوهـجِ، إنَّـه، وكمـا عادتـه دائمـاً فـي تكثيـفِ النَّفَسِ الجمالـي، يتخطّـى واقـع الحـدث، ليعيـدَ خلقـه شـعريّاً مـن خـلالِ رؤيـةٍ إبداعيّـةٍ، وبصيـرةٍ حدسـيّةٍ، وأدواتٍ تعبيريّـةٍ خصبـةٍ وغنيّـةٍ» (قطـوس، 2000م، ص25).

لا بـدع، إذنْ، أنْ تتماشـى نفسُ المتنبّـي الطّامحـة المتوثبـة نحـو العالـمِ العلـوي مـع اسـتثمارِ نجـم الثُّرَيَّـا فـي أشـعارهِ، للتّعبيـرِ عـن ثقافـةِ الثّبـات والتّحـدي جـرّاء مـا تلقـاه مـن ذمٍّ وحسـدٍ أولـعَ بـه المتشـاعرون؛ لأنَّهـم يجهلـون مقـداره وفضلـه، وعلـى الرّغـمِ مـن ذلـك جعـلَ الشَّـاعرُ صوتَـهُ عاليـاً، يمتلـئ اتّقـاداً وفكريّـاً وفنّيّـاً، يوجـزه الاتّـكاء علـى نجمـهِ: (الثُّرَيَّـا) ليقـدّمَ بوسـاطته ألقـاً بطوليـاً وشـاعريّةً تعمّـقُ الفحولـةَ الشّـعريّةَ، وتؤسـسُ لهـا (المرازيـق، ص155)، وهـذا مـا نقـرأه فـي مدحـهِ لبـدر بـن عمّـار: (المتنبّـي، 3 / 242)

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا؟ فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ استِفالا
هُوَ المُفْنِي المَذاكي والأعَادِي وَبِيْضَ الهِنْدِ والسُّمْرَ الطِّوَالا

لَيْسَ هذا الطقسُ المدحي لبدرِ بن عمّار في بلوغهِ مبلغاً جعلَ خدمته أعلى منزلةً من الثُّريا إلاّ منهجاً متعدد المستويات، وضعه المتنبّي قاصداً به الولوج إلى نفوسِ الكارهينَ، ومن ثَمَّ تقديم رؤية شخصية، اعتمد السَّماء مسرحاً فيها، حينَ تصدّى للذين يحاسبونه على الثَّناءِ والإقبالِ على تصويرِ خواطرهِ بصدقٍ، ويحكمونَ بغيرِ استيفاءِ للحجّةِ؛ فيحطّونَ من قدرهِ، وينفون إبداعه (الجرجاني، د.ت، ص77)، فيغضّون من شاعريتهِ على الرّغمِ من غُرَرِهِ البديعةِ ونفائسهِ باهرة الجمال.

ويستشعرُ المتنبّي مكانةَ ممدوحهِ شجاع بن محمّد الطائي المَنْبِجي، ولمّا أحسَّ أنَّ فضائله طغتْ على بلدته منبج، ذكرَ النّجم (الفَرْقَد) الحافل بالأمانِ والأملِ؛ ليبين أثره على النَّاسِ، وهو رمز الانفساح والشّرف والعزّة، فقالَ: (المتنبّي، 1 / 338)

مَا زِلْتَ تَدْنُو وَهْيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الفَرْقَدُ

تعمّقُ بنية النَّجم عبر النَّصِّ الاستفادة منه لداعي الثَّناء الذي يحتاجُ إلى مثلِ هذا البريق، فكَانَ دورُ النَّجمِ في هذا السِّياق المدحي دورَ الفاعل في صناعةِ الحدث، حيثُ وردَ

ذكـر الفَرْقَـد مقرونـاً بهالـةِ النَّمـاءِ والخصـبِ؛ ليفضـي فيمـا بعـد علـى هالـةِ الحبـورِ المشـوبِ بالانبهـارِ بفعلِ الحضـورِ مـن الممـدوحِ (حمـادي، 2003م، ص48-49) كونـه قـوةً عظيمـةً ذات أصـولٍ كريمـةٍ، باعثـةً علـى الأملِ، قـادرةً أنْ تدفـعَ الخطـوبَ، وتزيـحَ الهمـومَ، وتنشـرَ الفضائـلَ، وتنيـرَ العقـولَ.

وكذلـك كَانَ لِلْفَرْقَدَيْـنِ تأثيـرٌ فـي نفسـه، فهمـا رمـزٌ مـن رمـوزِ الشَّـوق والصَّبابـةِ، ومتـى رعاهمـا هاجـتْ عبراتـه، وتزايـدت أشـواقه؛ لأنَّ فيهمـا الوحشـيةَ والمجهـولَ.إذْ يقـولُ فـي مـدح محمّـد بـن زريـق الطّرسُوسـيّ: (المتنبّـي، 2 / 193)

وَجَعَلْتِ حَظِّيَ مِنْكِ حَظِّي فِي الكَرَى وَتَرَكْتِنِي لِلْفَرْقَدَيْنِ جَلِيْسَا

وأوّلُ مـا يلاحـظ هاهنـا موهبـة الشَّـاعر فـي تحقيـقِ مراعـاة النَّظيـر أو التّـوازن النّفسـي إزاء هجـر المحـبّ، فمَـا كَانَ منـه إلا أنْ يشـعرَ بالحسـرةِ التـي دفعتـه للبحـثِ عـن بديـلٍ يفـيء إلـى ظلالـه، علَّـه ينقـذه ممّـا هـو فيـه وأمثالـه مـن ذوي الهـوى « (حـور، 2004م، ص66-67). إذْ ظـلَّ يرعـى الفَرْقَدَيْـنِ كلّمـا أدلهـمّ الظـلام، واشـتدَّ الغـرامَ، بوصفهـا مضربـاً يضـرب بهمـا الاجتمـاع والائتـلاف، فـكانَ لا بـدَّ مـن أنْ تجـأرَ شـاعريتُه نحـو السَّـماء؛ لأنَّ فيهمـا (الفَرْقَدَيْـن) المـأوى والهـدوء، ولا ريـب أنَّ اسـتدعاءَ بدائـع النُّجُـوم، حينئـذ أليـق وأكثـر التّصاقـاً بالسِّـياقِ العاطفـي.

وحيـنَ ننظـرُ فـي ديـوانِ المتنبّـي نجـده زاخـراً بالنُّصـوصِ الشّـعريّةِ التـي تمثّـل التّمـدد والتّغيـر والأحـلام الدَّافئـة، وزادَ فيـه أنَّـه ضِمْـن السَّـماءِ ينتقـلُ مـن العالـمِ الأرضـي عالـمِ البـرودةِ إلـى العالـمِ العلـوي عالـم الانبعـاث ومنبـع الضّيـاء، ويتّضـحُ ذلـك المعنـى فـي أمدوحتـه فـي ابـن عبدالوهـاب، وقـدْ جلـسَ ابنـه عنـد المصبـاح: (المتنبّـي، 2 / 384)

أمَا تَرَى مَا أرَاهُ أيُّهَا المَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَا لَهَا حُبُكُ
الفَرْقَدُ ابْنُكَ، وَالمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ وأنتَ بَدْرُ الدُّجَى، والمَجْلِسُ الفَلَكُ

إنَّ المـرءَ ليـكاد عندمـا يتأمّـلُ اللوحـةَ السَّـابقةَ أنْ يلحـظَ انفتاحـاً علـى عالـمِ السَّـماءِ.إذْ يوظّـفُ الشَّـاعرُ مخزونَـه الفلكـي، ويأتـي بـكلّ مَـا فـي جرابـهِ مـن معيـنِ الكواكـب والأقمـار السـيّارة للصعـودِ إلـى فضـاءاتٍ لا متناهيـة مـن أبـرز سـماتها متانـة النَّسـيج، وأصالـة السَّـبك، بدورهـا تثـري الدّلالـة، وتجعلهـا متاحـةَ التَّأويـلِ والقـراءةِ.

وبهذا التّوغلِ في أعماقِ الفضاءِ السَّماوي نكشفُ بنيةَ النَّصِّ ومعماريتَهُ علاوةً على تحريرِ أقفالهِ الدّلاليّة، وعلى أثر كلّ ملامح الإنارة والألفة والاندغام في مجلسِ ابن عبدالوهاب، الذي يقيمه، وجعله أشبه ما يكونُ إلى الفلكِ، وقد برزَ ابنه عنده كأنَّه فَرْقَد، وأخاه مصباح، ومن ثمَّ يصبح هو بدراً رامزاً لإشاعةِ النُّورِ والأمنِ في عالمِ الظلامِ الدَّامسِ.ومن الملحوظِ بعدَ التأمّلِ في اللّوحةِ المارّة آنفاً أنَّ المتنبّي يعتدُّ بممدوحهِ شديدَ الاعتدادِ، وقد استعانَ بالتَّأنقِ في بناءِ صورتهِ في تشخيصِ الفَرْقَد والمصباحِ تشخيصاً طافحاً بالمشاعرِ العاطفيّة الفيّاضة.

والجديرُ بالذِّكرِ في هذا المقامِ على الرّغمِ أننا أمام شاعرٍ فارسٍ مهيضِ الجناح، متوقد الذّهن، يحرص على اختيارِ ألفاظه، وتراكيب أنساقه، فلم يكنْ بدٌّ سوى التّوسل برفعةِ النُّجومِ والكواكب؛ لأنَّها قرائن للعزّةِ والازدهارِ والإصباحِ (حمادي، 2003م، ص48-49).

وفي هذا السِّياقِ تستلفتنا استنطاقُ المعاني من بناتِ نَعْشٍ-و «هي سبعةُ أنجم معروفة بالقربِ من القطبِ الشَّمالي، منها أربعة في هيئةِ نعشٍ وثلاثة أمامه مستطيلة، وهي المنعوتةُ بالبناتِ، وهناك بناتُ نعشٍ الكبرى، وبناتُ نعشٍ الصُّغرى، والكبرى أضوأ من الصُّغرى» (المرزوقي (ت421هـ)، 1996م، ص546) -وعلاقته بالانعتاقِ إلى عالمِ السّماءِ؛ ليشعرنا بأنَّه ملاذُه الوحيد؛ ولكي يدللَ على بياضِ الخرائد الحييات بعد أنْ كشفن عن وجوههن، يمدح علي بن إبراهيم التَّنوخي، فيقول: (المتنبّي، 1 / 358)

كَأنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافراتٌ فِي حِدادِ

لمّا كانتْ بَنَاتُ نَعْشٍ ملفوظةً محوريةً تتمركزُ على التَّضادِ ذات علاقات نسقية متشعبة «كَانَ لا بدَّ أنْ نرصدَ صناعةَ المفارقةِ ودورها في إنتاجِ المعنى للوصولِ إلى استجلاءِ الحقيقة بعدّها أسلوباً منيراً؛ لأنَّه في أخصّ خصائصه ناتج من تصادمِ داخل النَّفسِ بين ما يتوقع وما يحدثُ واقعاً.وهي حيلةٌ بلاغيّةٌ يستخدمُها الكُتَّابُ للتّعبيرِ عن معنى يتضادُ مع معنى آخر مستقر في الذّهنِ» (الرباعي، 2002م، ص143).

ويمكننا أنْ نكتشف أنَّ بَنَاتَ نَعْش/الجميل المؤنث، ومنه أسفار الصُّبح، الذي يتأذّى من ظلمةٍ وثيابِ الحزن والسَّواد.ولكنَّ الشَّاعرَ على الرّغمِ من إدراكهِ لهذهِ الحقيقة يتراءى له أنَّ اتّحادَ الضّديات يخلقُ تصوراتٍ تتنامى فيها الآمالُ والإنجازاتُ.فإذا كَانتِ الكواكبُ: (بَنَات نَعْش) ببياضها تفرزُ الخرائد اللائي لا يعرفن إلا مبدأ الجمال والحياء فإنَّ الدُّجى والحِداد

طريقٌ للضلالةِ والعماءِ.وهذا يشي بأنَّ المتنبّي يملك القدرةَ والنّباهةَ على استنخابِ مفردات السَّماء، وتصريف متعلقاته، فضلاً عن تذويبِ ألفاظه المشحونةِ بالإنارةِ والمحمّلةِ بالإباءِ؛ لتأكيد استمرارية انتصاره وإقباله على الحياةِ، يخوضُ غمارَها، ويتغلّبُ على مصاعبِها.كما يوحي الإقرار بالأهميةِ التي تحتلّها الذّات الممدوحة، وهو ما نجده في أنساقهِ المتشكلةِ.

لا شكَّ أننا نلحظ أنَّ المتنبّي تعدّى مستوى العلم بمواقعِ النُّجوم ومنازلِ القمر وحركة الأجرام إلى التَّألقِ في استثمارِها وإعطائها نعوتاً أشدَّ إيغالاً في المنتوجِ الشِّعري حتّى نتمثّلَ التحامَه معها ينبض بالجمالِ، وينشر المتعةَ، وذلك في سياقِ المدحِ من مثلِ قوله في ابن العميد: (المتنبّي، 2 / 171)

زُحَلٌ عَلَى أنَّ الكَوَاكبَ قَوْمُهُ لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أكْرَمَ مَعْشَرَا

يحتفي الشَّاعرُ بممدوحهِ ابن العميد في تبلّجهِ عندَ السُّؤالِ، وتدفق عطاياه، إذْ جعله زُحلاً؛ لأنَّه أشرفُ الكواكبِ وأعلاها؛ لذا يطلقونَ عليه شيخَ الكواكب، وكذلك نراه يجعلُ اكتساب زُحَل الشَّرف والشُّهرة والفضل حال انضمامه إلى عشيرةِ الممدوحِ، وذلك أنَّ قومَه أشرف من النُّجوم، ومن ثمّةَ فإنَّ ابن العميد كنهور، «بل هو مصدر تلك الفضائل، والدّلالة عندَ المتنبّي فيها من المباشرةِ والسُّهولةِ ما ينأى بها عن التَّكلفِ والغموضِ» (رضوان، 2018، ص28). وقد تبيّن لنا في الخطابِ الشِّعري السّابق أننا إزاء نصٍّ شعري تمتزجُ فيه ملامحُ الجمالِ وقوةُ التَّأثيرِ وجذبُ الأبصار، كثيراً ما تتشكل عندما يلجأ إلى المنظوماتِ الفلكيّةِ لمنح نصَّه بهجةً نادرةً وسطوعاً ساحراً.

بذلَ المتنبّي جهداً كبيراً لإضاءةِ صورةِ سيف الدَّولة الحمداني الجميلة؛ الأمر الذي جعله يلجأ إلى الفضاءِ السَّماوي، ويتكئ عليه اتكاءً أساسيّاً، بعدّه فضاءً عجائبيّاً مثمراً يؤدي وظيفةً مهمةً في إبرازِ عاطفته الصّادقة، تقديراً لممدوحهِ وترجمةً لهباتهِ.إذْ يضعُ بينَ أيدينا مفتاحاً ولاّجاً في ثناءِ سيفِ الدَّولةِ عندما سَارَ إلى الموصلِ لنصرةِ أخيه، إذْ يقولُ: (المتنبّي، 3 / 38)

وعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ مِنْ تَحتِها التُّرْبِ من زُحَلِ

ينسجمُ المتنبّي مع مشهدِ علو زُحَل في السِّماءِ بأسلوبٍ فنّيّ بديعٍ، وقدْ بلغَ من الاستجادةِ أنَّه تعرّض لشجاعةِ ممدوحهِ معجباً به، مندهشاً منه، وواصفاً إيّاه بأنَّه صاحبُ عزمة نافذة، أرسلتها منه همّةٌ سامقةٌ تبعثُ الهيبةَ في النّفوسِ، وتدفع زُحَل إلى أنْ يتواضعَ عن قوتها، كتواضعِ الأرض عن علو زُحَل.

وانطلاقاً من النَّظرِ إلى السَّماءِ بوصفهِ مدلولاً مكتنزاً بالحكمةِ الهادئةِ والبصيرةِ النَّافذةِ، وحصولِ البركة في الشّيء، وتفصح عن إمكانيّةِ الشَّاعرِ في موضوعهِ، فقد نقلنا الشّاعرُ إلى رحابهِ المُضيء، ومظاهره المشرقة، من مثل استدعاء الكوكب: (زُحَل) خلال إجادتهِ في وصفِ عزيمة وقدرة ممدوحه رغبةً في استرضائهِ، وغطاءً يحتمي خلفه للوصولِ إلى رغباتهِ ومطامعهِ (الزعيم، 2002م، ص256).

ويمضي المتنبّي متطلعاً إلى عالمِ السّماءِ، ينهلُ من معينهِ، ويلتقطُ خصوصياته، محكماً أقواله؛ ليعكسها على صفحةِ شاعريتهِ، ومن ثمّ معالجتها معالجةً تتناصرُ مع تجربتهِ الخاصّةِ، بمقدرةٍ عجيبةٍ على تطويعِ اللّغةِ عبر أداة وسياق إجرائي يحملُ دلالاتِ إغراء جماليّة ورؤى معرفيّة شائكة، ومن النَّماذجِ على ذلك المشهد المدحي البهيج في أبي أحمد عبيد الله البحتري الذي يتجلّى فيها اختيار الشِّعْرَى وهو «نجمٌ مزهرٌ مشهورٌ بالحمرةِ والضوءِ» (ابن قتيبة، 1956م، ص52)، إذْ يقولُ: (المتنبّي، 2 / 124)

مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ تَخِرُّ لَهُ الشِّعْرَى ويَنكَسِفُ البَدْرُ

وقد التفتَ المتنبّي إلى أهميةِ النُّجوم، فثمّةَ إشارةٌ لطيفةٌ في بطنِ النَّصِّ السّابق إلى نجمِ الشِّعْرَى أودعها في بنيةٍ نصيّةٍ تشابكيّةٍ، جسّدتْ محاسن شخصية أبي أحمد عبيدالله البُحتري فضلاً عن إجلالهِ لها، واعتقاده الجازم بأنَّها تتمتع بقدراتٍ مميزةٍ، إذْ يرى فيها إنساناً ذا مسحةٍ إلهيّةٍ مقدسةٍ (يوسف، 2011م، ص171) متى أشارتْ بوجهها إلى السَّمَاءِ سقطتِ الشِّعرَى حياءً وخجلاً منه، وانكسف البدر من إشراقةِ وجهه وانبلاجِ محياه.وهذا ينمّ على شدّةِ شكيمتهِ وقوةِ عزيمتهِ.

وتزخرُ نصوصُ المتنبّي بالإشاراتِ الصَّريحةِ إلى الكواكبِ، ومعظمها وُظّف في إطارِ شغفهِ المدحي المحموم؛ لتحتوي على تصوراتٍ ذهنيّةٍ متسربلةٍ في أبعادٍ لغويّةٍ ودلاليّةٍ تتسق وتتلاءم مع نظرتهِ إلى شخوصِ ممدوحيه، ويظهر ذلك جليّاً في ما تستدعيه قصيدته الكافية في مدحِ عضد الدّولة بعدَ رحيلهِ مباشرة، وجرى فيها كلامٌ كأنَّه ينعى نفسَه، «والقصيدة لديه عموماً ليستْ نبوءةً، بل اقتراح واقعي ينطلق من العيني؛ ليرسمَ إطاراتِه الجديدةَ» (عبدالستار، 1986م، ص25). والشَّاعرُ وهو يداعبُ خصالَ عضد الدَّولة يلج إلى ذاتهِ التي تأخذُ بعداً سرمديّاً أبديّاً، حينما يوجّه خطابَه إلى الطرقاتِ، يستدعي السِّمَاكَ، «بعدّه كوكباً نيّراً يميلُ لونُه إلى الزّرقةِ، وهو من منازلِ القمرِ» (ابن قتيبة، ص62)، قائلاً: (المتنبّي، 2 / 404)

وَأَيَّاً شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً، أَوْ نَجَاةً، أَوْ هَلَاكَا
فَلَوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السِّمَاكَا

تـؤدي الجملـةُ الثَّقافيـةُ: (وَأَيَّـاً شِـئْتِ يَـا طُرُقِـي فَكُونِـي...) وظيفتهـا النَّسـقية المخاتلـة عندمـا يحـاولُ النَّسـقُ الشِّـعري توجيـه نظـر الممدوح/النّسـق السّـلطوي، زمنيـاً نحـو الشَّـاعرِ، انطلاقـاً مـن صـورةِ الشّـجاعةِ والشّـهامةِ المقترنـةِ فعليـاً بحـدثِ المديـح النَّفعـي، بحيـث كلمـا حضـرتْ شـمائلُ وفضائـلُ الممـدوحِ ومذاهبـه الجليلـة بالإقدامِ والامتـلاءِ (عليمـات، 2006م، ص75)، كَانَ المتنبّـي ممـاثـلاً بقـدرِ مـا يمتلـكُ مـن العطـاءِ الشِّـعري والمخـزونِ المعرفـي ومـا تكتنـزه عقليتـه الفكريّـة مـن مرجعيـاتٍ وحمـولاتٍ ثقافيّـةٍ مختلفـةٍ.

وكلُّ ما سبقَ إرهاص للوصولِ إلى الشُّعورِ بالقوةِ؛ لأنَّ في صميمهِ شعوراً بالذّاتِ، فالمتنبّي ينظـرُ إلـى شعـرهِ ونفسـه صوتـاً وإيقاعـاً وجوديـاً ويوجهـه توجيهـاً نفسـيّاً.ولعلَّ هـذا الشّـعور دفعـه دفعـاً قويـاً إلـى مطـاردةِ الإخفـاقِ، وأوقدَ في نفسـهِ مبـدأ التَّحدي والإصـرارِ؛ ولهذا، نلحـظُ أنَّ تفوقَه أهّلَـه لأنَّ يكـون متجـاوزاً عالـم الأرضِ إلـى السَّـماءِ فـي التَّأهـبِ والتّحليـق (رَأَوْنِـي قَبْـلَ أَنْ يَـرَوْا السِّـمَاكَا...) لا غرابة عندئذ أنْ ينظرَ إلى السَّماءِ ويتّخذها وسيلةً ناقلةً تفوقه ورباطة جأشـه، وهذا مـا قامـتْ عليـه فكـرةُ سِباقه كوكـب السِّـمَاك بالطّلـوعِ حتّـى ولـو سَـارَ وانصـرمَ من تشـرين خمس ليـال؛ لأنَّ ذلـك الكوكـبَ يطلـعُ بالغـداةِ لخمسٍ خَلونَ من تشـرينِ الأوّل.

ويسـتمرُّ الشّـاعرُ لاهجـاً بهـذا المسـعى، حينمـا يتحـدّثُ عـن صـورةِ جيـشِ سـيف الدّولـة المرعبـةِ فـي الحَـدثِ الحمـراءِ، وقـد شـهدتْ هـذه الصُّـورةُ حضـوراً أسـطوريّاً، فهـي تـكادُ أنْ تكـونَ ذات أصـوات مجلجلـة ارتفعـتْ إلـى الجـوازءِ؛ لعظـم أمرهـا وكثـرة أهلهـا، وممّـا يزيـدُ الموقـف تأزمـاً تدفـقُ دمـاء الفروسـيّةِ فـي السَّـماءِ كمـا تتدفـقُ فـي عـروقِ أهـلِ الأرض مـن الجنـودِ (رومية، 1996م، ص110)، وآيـة ذلـك أنْ ظـلَّ يتغنّـى بهـا فـي نصِّـهِ غنـاءً يفيـضُ إحساسـاً بالـذّاتِ والحنكـةِ والفخـارِ، علـى نحـو قولـهِ: (المتنبّـي، 3 / 405)

خَمِيْسٌ بِشَرْقِ الأَرْضِ وَالغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

إنَّ علاقـةَ الشَّـاعرِ بالسَّـماءِ علاقـةٌ خصبـةٌ، يلقي عليها أحاسيسَـه ومشـاعرَه، فلا تلبـثُ العلاقةُ أن تـزدادَ جـلاءً ووضوحـاً حيـن يعلـن ضوضـاء وجلبـة وأصـوات ووقـع حوافـر هـذا الجيـش فـي أرجـاءٍ واسـعةٍ مـن سـاحةِ المعركـة قـد نازعـتْ وطاولـتْ بكثرتهـا أذن الجـوزاء، ولعلَّـه خصَّهـا بالذِّكـرِ؛ لأنَّهـا تتمثـل علـى صـورةِ الإنسـان، ثـمَّ وجـدَ فيهـا ترميـزاً واضحـاً لتحقيـق أهدافـهِ.

فالمتأمّلُ في اقتراناتِ الخطابِ الشّعري أعلاه بالمجموعةِ النّجمية (الجوزاء) يدركُ أنَّ المتنبّي يحكي تفاصيلَ المعركة، «وكأنَّه ينقلنا إلى ساحتِها؛ لنشهدَ ما يحدثُ من هاماتٍ متطايرةٍ، ودماءٍ نازفةٍ؛ ليبلغ المتنبّي في شعرِهِ هذه الغايةَ التي ليس بعدها متقدّم لشاعرٍ أو ناثرٍ وأنَّه يعسر على الباحثِ أنْ يختارَ مقداراً مماثلاً له من الشِّعرِ الحماسي البليغِ من الملاحمِ الكبيرة، مثل: الإلياذة اليونانيّة أو الشّاهنامة الفارسيّة أو المهابهارتا الهندية» (عزام، 1956م، ص91).

بهذهِ الإطلالةِ العميقةِ والتّغذيةِ الجميلةِ من بيئةِ السَّماء نجد المتنبّي قد فُتنَ بجمالها، فجمّل أشعارَه فوق جمالها، ومضى يسيرُ على نورِ آفاقها الرَّحبةِ، ومناظرها الخلاّبة إلى درجةٍ يحيطه فيها بهالةِ القداسةِ والتَّبجيلِ، ويعتدّه معها حرَماً موقوفاً على الكرامِ، ولو استطاعَ أنْ يكونَ قيّماً عليها لمنع أنْ تدنسَها نظراتُ اللّئامِ وأصواتُ الأوغاد (عبد الجابر، 2016م، ص341). وهذا يؤكدُ أنَّ المتنبّي يؤثر أنْ يسهمَ في إعادةِ صياغة وعينا لذاتنا، وفهمنا للواقعِ المحيطِ بنا بما في ذلك وعينا للوشائجِ التي تربط الشَّاعر بالمجالِ السَّماوي إلى حدِ المشاركةِ الفاعلة بينهما، وبذا بقي لصيقاً به، حتّى غدا جزءاً أساسيّاً من حياتهِ وثقافتهِ.وهذا عائدٌ إلى رغبةِ الشّاعرِ في التَّلاقي والانسجامِ مع دائرةِ السَّماءِ العلويّة بحثاً عن الصّمودِ والمقاومةِ والأماني العراضِ.

2. أثرُ توظيفِ بدائع السَّماء ودراريها في مكونات وزخارف الصّورةِ الفنّيّة.

ولعلَّ من المناسبِ الإشارةَ هنا إلى أنَّ الصُّورةَ الفنّيّةَ وسيلةُ الشّاعر لإخراجِ ما في قلبهِ وعقلهِ وإيصالهِ إلى غيرهِ (الهويدي، 2011م، ص106)، بما يخلقُ جواً تواصلياً للفكرةِ مع المتلقي، وركناً ركيناً ملازماً لطبيعةِ الشِّعرِ، مركباً من عنصري التَّشكيلِ والمضمونِ.

والجديرُ بالذِّكرِ في هذا المقامِ عند قراءتنا لتصانيف النُّقاد القدامى، نجدهم يشيرون إلى مفهوم الصُّورة، فالجاحظُ يحاولُ الوصولَ إلى تعريفٍ دقيقٍ للشِّعرِ بقولهِ: « إنَّه ضربٌ من النَّسيجِ وجنسٌ من التَّصويرِ» (الجاحظ (ت255هـ)، 3 / 132). كما يوغلُ قدامةُ في حديثهِ عَن الصّورة في غيرِ موضعٍ، إذْ يجعلُ التَّصويرَ أساساً في الشِّعرِ، حيثُ يقولُ: «والمعاني للشِّعرِ منزلةُ المادةِ الموضوعة والشِّعر فيها كالصّورةِ» (ابن جعفر (ت337هـ)، 1963م، ص19).

أمّا الجرجاني؛ فقدْ وَصلَ إلى ذروةِ التَّوضيحِ والنُّضُوجِ، عندما وسّعَ من هذهِ الرّؤيةِ، وعليه فقد وجدَ «إنَّ الصّورةَ الفنّيّةَ تمثيلٌ وقياسٌ لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارِنا،

فلمّا رأينا البينونة بينَ أحادِ الأجناس تكون من جهةِ الصّورةِ الفنّيّةِ، فالذي نراه صورةَ أحد الأشياء لا تكون في صورةِ الآخر» (الجرجاني (ت471هـ)، د.ت، ص389).

وإذا كَانَ قسمٌ من الصّورةِ الفنّيّةِ -التي يرسمُها الشّاعرُ- أصلاً من الواقعِ الحقيقي، فإنَّ للمتلقي الحقَّ أنْ يلمسَ أثرَ النُّجيمات والكويكبات في صياغةِ معطيات الصُّورة عند المتنبّي ولا سيما التي يتكئ عليها اتكاءً مباشراً كالاستعارةِ والتّشبيهِ.

وإذا تفحصّنا بعدَ هذه النُّقولات نصوصَ المتنبّي، فإننا واجدونَ أنَّهَا تمتلكُ صوراً فنّيّةً استمدتْ أبعادها الجماليّة من مقوماتِ العالمِ العلوي، فأصبحتْ ذات فاعليّة تأثيريّة في المتلقي؛ «لأنَّ قراءةَ النَّصّ توقظُ في نفسِ المتلقي مجموعة من الأسئلةِ عندما تصادفُ عناصر معينة في هذا النَّصِّ، فالنَّصُّ الحيوي بما يحمله مِنْ صورٍ وثيماتٍ ومشاعر وعواطف ومحفّزات لا بدَّ من أنْ تثيرَ الوعي الخاصّ بالقارئ» (الرّبابعة، 2004م، ص172).

ولا شكَّ أنَّ المتنبّي كانتْ تحتدمُ في ذاتهِ لذّة الاستمتاع في خلقِ نمطٍ جديدٍ مبتكرٍ لكي يعبّرَ عنْ رؤيتهِ التّأمّليّة للحياةِ فضلاً عن أبعادهِ الطامحةِ إلى المجدِ؛ لذلك لمْ يقتصرْ على التّشبيهاتِ المتداولة، وإنَّما ينزعُ -غالباً- إلى النَّادرِ المغايرِ واستخدمه استخداماً واسعاً على نحو صورة شعره، وموهبته التي يوجههما كيفما يريدُ حينَ قالَ: (المتنبّي، 2 / 383)

إنَّ هَذا الشِّعرَ فِي الشِّعْرِ مَلَكْ سَارَ فَهوَ الشَّمْسُ، وَالدُّنيا فَلَكْ

يَخطُّ المتنبّي خطّاً بارعاً في إعلاءِ قيمةِ شعرهِ، وذيوعه بينَ النَّاسِ بأسلوبِ الكبرياء والزّعامة المطلقة للشّعرِ، بحسبانه منبعاً للسّحرِ والجمالِ؛ لهذا شبّه شعرَه بالملائكةِ بين النّاسِ، ومسيره أو انتشاره في الدُّنيا بسيرِ الشَّمسِ في الفَلكِ، معتمداً في تشبيهِ السَّابقِ على المشابهةِ الحسيّةِ بين أطرافِ التّشبيه (الشِّعر/الفَلك)، (الشِّعر/الشمس) ؛ ليضفي على شاعريتهِ كلَّ ما يحلمُ به الشّاعرُ من مناقبِ الفحولةِ والفتوةِ والتّفوقِ الفنّيّ، إلى جانبِ تأكيدهِ على أنْ يظلَّ نظمُهُ متفرداً، يصاغ في قالبِ الفصاحةِ والبلاغةِ، ويتضمن ألطفَ المعاني وأجود الألفاظ.

وَقدْ استطاعَ المتنبّي أنْ يتمحورَ بنصِّهِ الشّعري تمحوراً بعيداً عَنْ كُلِّ مَا هو هابط ومبتذل. إذْ نجده قد ألبسَ سيفَ الدَّولةِ صفاتِ المغالاةِ والمبالغةِ في الوصفِ (ثقفان، 2019م، ص39) ولا مريّة أن يسيطرَ حبُّ الممدوحِ على الشّاعرِ سيطرةً محكمةً، وهذا يرتبطُ بتفضيلِ الممدوحِ على الشَّمسِ في تشبيهٍ تجلّتْ معالمُه كثيراً في قولهِ: (المتنبّي، 1 / 87)

بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الوُضَّاءِ تُمْسِي، جُفُوني تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيْبُ

يكشفُ المشهدُ الشِّعري عَنْ رجاحةِ وإجادةِ المتنبّي في حياكةِ التَّشبيهِ من خلالِ الاستغلالِ الدّلالي الأمثلِ لصورةِ الشَّمسِ.إذْ يبرزُ ذلك في التّعاملِ مع النُّورِ المنبعثِ من ممدوحه، فهو يبدو كشمسٍ لا تغيب في الاستعلاءِ والوجاهةِ.وفي هذا السِّياقِ نراه يوظّفُ ثنائيةَ الغيابِ والظهورِ؛ ليفرّقَ بينَ ممدوحهِ والشَّمسِ، فإذا كَانتِ الشَّمسُ محكومةً بأنْ تظهرَ تارةً، وتغيبَ تاراتٍ كثيرةً، فإنَّ ممدوحَه شمسٌ يلوحُ نورها بقوةٍ وزهو ليلاً ونهاراً؛ لأجل هذا استمدَّ الشَّاعرُ أصباغَ صورتهِ من العالمِ العلوي الغامرِ بالقيمِ النَّبيلةِ والمُثُلِ العاليةِ، وأسقطها على ممدوحهِ وربّما زادَ عليها وفاءً وولاءً له.

كثيراً ما يعمدُ المتنبّي إلى الإفصاحِ عَنْ جذوةِ نبوغهِ، ومجدهِ المرتفع، فهو بَاهرُ الحضورِ، ذاتي العظمة، وفارسٌ له نهجٌ وإرادةٌ، كلُّ ذلك جعله يعيدُ رسمَ ملامح سيف الدّولة وتجديدها؛ ليجعلَه معادلاً في شموخهِ لحالاتِ الانحدارِ التي غمرتْ مراحل حياته المختلفة (الكرَكي، 1999م، ص177)، إذْ كَانَ ضحيةً للحسدِ والتَّحاملِ، فما كَانَ منه إلا أنَّ فضحَ حسّادَهُ، وسعى إلى تعريتهم، مستثمراً فكرةَ الانطلاقِ إلى عالمِ الفضاءِ: (الشَّمس)، التي أضحتْ باعثةً على الانقطاعِ والانكسارِ النَّفسي بعدما كانتْ نموذجاً للنّورِ والعلياءِ، فقالَ: (المتنبّي، 1 / 15)

الشَّمسُ مِنْ حُسَّادِهِ، وَالنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ، وَالسَّيْفُ مِنْ أسْمَائِهِ

إنَّ رغبةً هادرةً لدى المتنبّي بالتّقربِ من البلاطِ الحَمداني قادته إلى أنْ يُودعَ في الشَّمسِ شيئاً من العلاقاتِ الإنسانيّةِ، وأنْ يسقطَ عليها صفاتٍ كائنيَّة تضفي عليها مزيداً من الفخامةِ والجلالِ، وهنا تتشكّل صورةُ المتنبّي الفنّيّة، منذ أنْ حملتِ الشَّمسُ خصيصةً بشريةً تجلتْ بحسدِها لممدوحهِ؛ لأنَّه أعظمُ منها مكانةً، وأذيعُ منها صيتاً، وأقدرُ منها فوزاً. والملحوظُ أنَّ الشَّاعرَ «يحاول أنْ يخلعَ الأحوالَ الإنسانيّةَ على هذهِ الظواهرِ الفلكيّة، وأنْ يجسّدَ تخيلاته في صورٍ شعريّةٍ يلبسها خصائصَ الإنسانِ وعواطفَ البشرِ، وهي صورٌ لمْ يخلُ كثيرٌ منها من جمالٍ بلاغي وعاطفةٍ إنسانيّةٍ وإنْ كانَ في مجملها تخيلات متجزّئة متفرّقة لا تخلو من الصّنعةِ والتّكلّفِ» (الدوغان، 2010م، ص976-977).

وعلى هذا النَّحوِ، يلجأ المتنبّي إلى المحسناتِ البلاغيّةِ؛ ليكشفَ المعنى المرادَ، فتوظيف الجناس التَّام دليلٌ دامغٌ على قوةِ إرادة الممدوح ومهابته، فهو لمْ يكتفِ بالوقوفِ المباشرِ للتعريفِ بجدارتهِ،

بلْ نراه يستدعي صورتينِ متقابلتينِ للشَّمسِ: الأولى أخذتِ الحقيقة/النّور والسّطوع، والثّانية جسّدت الاستعارة/ الرّفعة والبهاء واشتياق الحرية، في قوله: (المتنبّي، 4 / 5)

فَلا زَالَتِ الشَّمْسُ التي فِي سَمَائِهِ مُطالِعَةَ الشَّمسِ التي فِي لِثَامِهِ

فتبدو مركزيةُ العالم العلوي: (الشَّمس) في بنيةِ نسقِ شعر المتنبّي علامةً إشهاريةً لإدراك صورةِ البطل الفادي، فهو إنسانٌ متميّزٌ في ضوءِ علاقتهِ بالمجتمعِ والمحافظةِ على الحياةِ الإنسانيّةِ، ولا شكَّ أنَّ هذا التَّميّزَ جعلَ الآخرينَ صَاغرينَ عن مماثلةِ صفاتهِ النّبيلة (عليمات، 2004م، ص264) ؛ لأنّه ينظرُ إليه رمزاً للخصبِ والنَّماءِ للأمكنةِ التي حلّها، نظراً لإهلاكهِ ماله في السَّخاءِ، وبالتالي فإنَّ صورةَ الممدوحِ المتعالية تعبّر بعمقٍ عن تحدي الشَّاعرِ لكيدِ حسّادهِ الذي يكتنفُ حياتَه ووجودَه بالتّوترِ والانفعالِ.

والنَّاظر المحقق في لوحةِ العشقِ عند المتنبّي يجد نفسه أمام براعةٍ فائقةٍ تثيرُ تفكير المتلقي في رسمِ وظيفةٍ عظيمةٍ للنُّجومِ والشَّمسِ، إذْ يقولُ: (المتنبّي، 3 / 104)

أمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيْلُ
وَيَوْمَاً كَأَنَّ الحُسْنَ فِيْهِ عَلامَةٌ بَعَثْتِ بهَا والشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ

إنَّ المتابعَ للبنيةِ النَّصيّةِ في الخطابِ الشِّعري أعلاه يلحظ أنَّ الصّورةَ المرسومةَ في الفضاءِ التّشكيلي للنُّجومِ والشّمسِ جاءتْ في سياقٍ غزلي متدفقٍ، نستمعُ فيه إلى الدَّيمومةِ والخصوبةِ، وكأنَّه ناطقٌ بكلِّ ما تعرّض له المتنبّي من تباريحِ الصَّبابة وألمِ المكابدة، بعد أنْ شكلتِ النُّجُومُ فيه دليلاً بوّاحاً يستدلُ منه على ضوءِ الصّباحِ، وانصرام اللّيل وتلاشيه. «ويظهر من هذا الاستقراءِ علاقة التّلازم بين النُّجُومِ ومشاعرِ الحزنِ والأرق والاشتياق وبثّ الشّكوى المرتبطة بعاطفةٍ خالدةٍ على مرِّ العصورِ، فحزنُ الشَّاعرِ على فراقِ الأحبةِ ليس يحويه إلاّ اللّيل، فاللّيلُ مستودعُ الهمومِ فلا يملكُ الشَّاعرُ إلا أنْ يبوحَ بمكنوناتهِ لنجومِ اللّيلِ، فهي التي تنصتْ له عندما يبوحُ لها» (سهيل، 2008م، ص447).

ولمّا تعلق الأمر بالحسنِ والملاحةِ وبهجةِ منظر المحبوبة كَانَ لزاماً أنْ ينشدَ الشَّاعرُ رسولاً نبيهاً فطناً يخبره بصفاتِها، فمَا كَانَ أمامه إلا أنْ يستعينَ بالشَّمسِ؛ ليكشفَ عن سرِّ جمالها الهادئ، «حيثُ كانتِ الشَّمسُ مشبهاً لجمالِ أنثاه المتفرّدة التي بدتْ لوحتها عنده تنطق بالجمالِ والحبِّ بكلِّ أطيافهما» (زوباري، 2007م، ص228). وهذا يدفعنا إلى القولِ بأنَّ المتنبّي يبتدعُ صورةً أكثر انفتاحاً حينما شبّه الشَّمسَ المنبعثة من المحبوبةِ التي سترَ

الغبـارُ رؤيتَهـا برسـولٍ، كانَ أنيقـاً ودقيقـاً متمتعـاً بـكلِّ خـواصِ الكمـالِ والحصافـةِ المناسـبة لطبيعـةِ الحـدث.

ويزيـدُ المتنبّـي الأمـرَ تعميقاً حين يرتكـزُ علـى العالـمِ العلـوي، ويلـوحُ بمسـاواةِ الأقـران فـي رفـعِ مكانـةِ الممـدوح، فتضحـي الشَّـمسُ منداحـةً أمـامَ حُسـن سـيف الدَّولـة، وسـخائه العظيميـنِ، ظنَّـاً منـه أنَّ الإشـارةَ إلـى عالـمِ السَّماءِ ارتيـاحُ نفسٍ وطمأنينـةُ بـالٍ، فيقـولُ: (المتنبّـي، 3 / 141)

وَإذَا الأرْضُ أظْلَمَتْ كَانَ شَمْسَاً وَإذَا الأرْضُ أمحَلَتْ كَانَ وَبْلا

وليـسَ غريبـاً أنْ يسـتردَّ المتنبّـي مكانتَـه، حيـن يعبّـرُ عـن نفـاذِ عـزم سـيف الدّولـة بصـورةٍ بصريّـةٍ سـمعيّةٍ ناضجـةٍ مليئـةٍ بمشـاهدِ الإشـراقِ والإغـداقِ، فاسـتعانَ بمشـهدِ السَّـماءِ؛ ليدلـلَ مـن خلالـهِ علـى الضـوءِ والتَّألـقِ للقضـاءِ علـى الظـلامِ؛ إذْ شـبهه بالشَّـمسِ، وزادَ صـورة المشـبه بـه تبيانـاً وإبداعـاً عندمـا ربطهـا بظلمـةِ الأرضِ القاتمة.وكأنَّـه أدركَ أنَّ الضِّـدَ لا يظهـر حسـنَه إلا الضِّـدُ، ولـم يكتـفِ بذلـك بـل انصـرفَ جهـة عمـوم مكارمـه، مسـتغلاً بذلـك التَّشـبيه اللّطيـف الرَّاشـح مـن دلالـةِ: (الوَبْـل) بمـا تجـودُ بـه نفسـه علـى النَّـاسِ وتفيـضُ عليهـم بالأمـانِ والاطمئنانِ. وربمـا كَانَ هـذا هـو السِّـر الكامـن وراء تصويـرات المتنبّـي المتفائلـة التـي تقـومُ علـى «تسـجيل أميـن للمشـهدِ الطبيعـي وللحركـةِ التـي فيـه كمـا هـو واقـع الأمـر، وليـسَ لـه مـن دلالـةٍ بعـدَ هـذا إلا علـى مهـارةِ الشَّـاعرِ فـي التقـاطِ المشـهدِ وتنبـه حواسـه لـه ونقلـه نقـلاً أمينـاً» (إسـماعيل، 1988م، ص90).

وتتّضـحُ ملامـحُ الشّـعريّةِ في الصّـورةِ الفنّيّةِ السّـابقةِ اتّضاحـاً مفعماً بالإيحـاءاتِ والاحتمالاتِ الدّلاليّةِ.فضـلاً عـن عنايتـهِ بالتَّأنـقِ الجمالـيّ فـي بنـاءِ الصّـورةِ الشّـعريّةِ.وأبانَ الشُّـاعرُ عـن ذلـك عندمـا صـبَّ جـلّ اهتمامـه علـى تكـرارِ التَّشـكيلِ الإيقاعـي علـى كامـلِ المسـاحةِ الأفقيـةِ للنّـصِّ الشِّـعري، وأفصـحَ عـن مشـاعر مـلأ بالقـوةِ الإنسـانيّة، إدراكاً منـه أنَّ السّـبيلَ إلـى ذلـك يتوصـل إليـه بوسـاطة الاندغـامِ مـع عالـمِ الشَّـمسِ، علـى النحـو الآتـي:

وَإذَا الأرْضُ أظْلَمَتْ كَانَ شَمْسَاً

وَإذَا الأرْضُ أمحَلَتْ كَانَ وَبْلا

ويشـدهنا المتنبّـي بالمفاجـأةِ حينمـا ننظـرُ فـي «بنيـاتِ التَّشـكيلِ الإيقاعـي للجُمـلِ إذْ نلحـظُ أنّـه يعطـي وظيفـةً لـدى المتلقـي، فهـو يجذبـه سـماعياً؛ لأنّه أمـامَ تكرار نمطـي لكلماتٍ وجملٍ موسـيقيّة بعينهـا، لكنّهـا فـي كلِّ مـرّةٍ لهـا دلالـة جديـدة، وبعـد وظيفـي آخـر» (الجـزار، 1990م، ص207).

استحسنَ المتنبّي الطبيعةَ في أشعارهِ، وهو يعرفها حقّ المعرفة، إعجاباً وعبقريةً وذكاءً، ورأى فيها قوةً باعثةً على تشكيلِ المعنى الشّعري، الذي يملأ النَّفسَ تشوقاً ولذةً.من هنا كانَ من السَّهلِ أنْ ينهلَ من معينِها، وينجذبَ إليها، ويستوعبَ روعةَ صورِها الفنّيّةِ الريّانةِ متكئاً عليها لإشباعِ خصوصيتهِ، وإنّا لنلمح هذا التّأثر في شواهدِه المختارةِ، إذْ يصفُ بُحيرةَ طبرية، قائلاً: (المتنبّي، 4 / 68)

كَأَنَّهَا فِي نَهَارِها قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنانِها ظُلَمُ

وبإلقاء نظرة سريعة على الخطابِ الشّعري السَّابق يسترعينا أمرُ تشبيه الطبيعة بالطبيعةِ، إذْ شبّه صورةَ البحيرة في النَّهارِ، وقد أحاطتْ بها الحدائقُ الغنّاءُ الخضراءُ الضَّاربةُ إلى السَّوادِ بصورةِ قمرٍ يشعّ ضياءً ونوراً، وقدْ أحاطَ به ظلامُ اللّيلِ.وواضح هنا أنَّ المتنبّي وجدَ في شيات الطبيعة السّماوية (القمر) -وقد بدت عليها علامات الجاذبية والقبول-ملاذاً يسهمُ في تكريسِ المشهدِ الصَّافي، ويزيدُ عناصرَ الصُّورةِ حرارةً واتّقاداً.ومن الضروري أنْ نشيرَ هنا إلى أنَّ المتنبّي امتلكَ بصيرةً عميقةً، وقدرةً عاليةً على سبكِ ألفاظه ومعانيه بحيث كَانَ كلُّ جزءٍ من لوحتهِ الفنّيّة يقدّم تآلفاً وتطابقاً يقودُ إلى الانسجامِ بينهما، «ويذكرنا الشَّاعرُ بفعلتهِ هذه إلى الصّلةِ المتينةِ ما بينَ الرّسمِ والشّعرِ، فالجوهرُ واحدٌ والتّباينُ في وسيلةِ التَّعبير أو النَّقل في الوسيطِ بين الموضوعِ والظاهرةِ الفنّيّةِ؛ لأنَّ الصّورةَ الشّعريّةَ صورةٌ لُغويةٌ في الأساسِ ولكنَّها تستعينُ بتقنياتِ الرّسمِ» (المتنبّي، 4 / 68).

وترصدُ نظرةُ المتنبّي للمرثي تجربةً علويةً جديدةً، تتصلُ بدلالةِ البقاءِ والخلودِ اللتين تنبعان من أنَّ الأمواتَ أحياءٌ، إذْ مَا كانوا ذا محاسن وشمائل حميدة تبقيهم في الحياةِ، عليهم المهابة والجلال، وتتعمق الدّلالة الفنّيّة، وهو يصرحُ بافتتان حين رثى محمّدَ بن إسحاق التّنوخي.إذْ قالَ: (المتنبّي، 2 / 126)

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ

حينَ نجيلُ النَّظرَ في النَّصِّ السَّابقِ، نجد أننا أمامَ شاعرٍ رقيقِ الإحساسِ يعي الأثرَ النَّفسي المخضّبَ بالجراحِ الذي خلّفه رحيل التَّنوخي عن الحياةِ؛ لذلك نلحظُهُ يحرصُ - في سياقِ الرّثاء- على إبرازِ خصالهِ.كما أنَّ الشَّاعرَ كانَ حريصاً على أنْ يبثَّ عالمَ الكواكب أشجانَه، ويفرّغَ لوعتَه فيه، عندما شبّه التَّنوخي بنجمٍ يدخل النُّورَ والسُّرورَ في حياتهِ، وإذا به يغورُ في التُّرابِ، ويأفلُ ضوءه عند موتهِ.ولا يكتفي المتنبّي أنْ يستلَّ من السَّماءِ رقعةً علويّةً يهندسها لتكون ناطقةً بحسرةِ قلبه؛ ليستوحي منها ما يتلاءم مع صورةِ المرثي الفاذّة

ذات الهمّة العالية والأنفة والكبرياء؛ ليبني عليها تشبيهَهُ، وإنّما راحَ يضيف إلى ذلك رشاقةً نظميةً آسرةً لعبتْ دوراً رئيساً في روعةِ التَّصويرِ، حينَ رأى أنَّ موئلَ هذه الكواكب في باطنِ الأرض وليس محلُّها في السَّماءِ.

أولى المتنبّي سيفَ الدّولة الحمداني اهتماماً ملحوظاً، ولعلَّ ذلك قادَه إلى الإلحاحِ على مظاهرِ القوة والسّيادة والشّرف في صورتهِ التي تمتعَ بها، وفي شعرهِ شواهدُ كثيرةٌ تدلُّ على تلاعبهِ بالصّورةِ، ومزجها مزجاً يحدثُ مستوى عميقاً من المعنى تتنامى فيه الحركةُ والشُّعور معاً، يشحذُ في المتلقي قريحةَ البحثِ وفكَّ مغاليق النَّصّ، وهو ما يَشي إلى تمرسِ الشّاعر في عجائبيةِ تشكيل خطابه الشِّعري.إذْ يهبُ معانيه عنفوانَ السَّماءِ، ويمنحُ ألفاظَه ضياءاتٍ وإناراتِ النُّجوم والكواكب، ومثل ذلك نقرأه في قولهِ يمدح سيف الدّولة الحمداني: (المتنبّي، 3 / 102)

لَيَاليَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولْ ... طِوالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِيْنَ طَوِيْلُ
يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الذي لا أُرِيْدُهُ ... وَيُخْفِيْنَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبِيْلُ

يفتتحُ الشَّاعرُ حديثَه بمطلعٍ تقليدي سارَ عليه الشُّعراءُ القدامى فيه كثير من الحزنِ واليأسِ، حيثُ يحدثنا عن غزلٍ رقيقٍ جسّدَ ضعفَه وانكسارَه وتذلالته اللائي لاحقنه إزاء السَّهر.وما أنْ يتبرّمَ المتنبّي بالزّمنِ ومرارتهِ وانعدامِ الرّاحة فيه نتيجة المعاناة التي لاقاها من ثقلهِ حتّى يفجأنا بالانتقالِ إلى عالمِ السَّماوات العُلى بصورةٍ فيها التَّبجيل والقداسة للبدرِ على نحو قوله: (يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ) ملتفتاً إلى جنايةِ الليالي في إظهارِهن بدرهن السّماوي الحقيقي غير المطلوب: (النَّجم) ؛ وإخفائهن بدراً مجازياً) : المحبوبة) كانَ واضحاً أنَّه بعيدُ الوصول إليه؛ لهذا السَّبب جنت عليه أنثاه التي عرّضته لمثلِ هذا المصير.وقد أثقلتْ هذه الحالةُ الشَّاعرَ، وهي حجّةٌ على ما في نفسهِ من لوعةِ الهوى، وتباريح الشَّوق.

ولا بأس على المتنبّي عندئذ أنْ يرتقي بهذهِ الحالةِ الرَّقيقة التي تغلّف فيها العشقُ بالمشقةِ إلى الحديثِ مجازاً عن سمو مكانةِ المحبوبة التي أفقدته قلبه، ونهبتْ منه عقله بوسيلةٍ فنّيّةٍ كانَ أساسُ معمارِها الفنّي بدراً منيراً يحملُ دلالات الارتقاء والخلود (عبد الغني، 2009م، ص26)، استثمره استثماراً جماليّاً يشكّل إضافةً إبداعيّةً وقيمةً مضافةً، حين شبّه محبوبتَه المستترةَ بالبدرِ الذي لا يجد إليه سبيلاً، فوظّفه توظيفاً مجازياً ليس على معنى الحقيقة، تعبيراً عن معاني الإذعانِ والخضوعِ بعد أنْ أخذتْ تصدّه وتهجره حياءً وتدللاً.

وعلى ذلك، فإنَّ الثُّرَيَّا معادلاً موضوعياً له، تمتاح مخيلته منه تبع حركة الصّعود، يلجئ المتنبّي أنْ يلوذَ إليه في حالةِ الصِّراعِ مع اللِّئامِ السُّقاط من النَّاسِ.وهنا تتوهجُ ذاته وتتوقدُّ مقارنةً بأعاجمِ اللّغةِ، وزعانفِ الشِّعر، القاصرين عن الرّقي إلى مستوى نفائسهِ وقوافيهِ، نشداناً للرّسوخِ والبقاءِ والتماساً للشّموخِ الذي لا تهزّه الأعاصيرُ، ويتّضحُ المعنى في قولهِ البديع: (المتنبّي، 3 / 392)

مَا أَبعَدَ العَيْبَ وَالنُّقْصَانَ عَن شَرَفي أَنا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالهَرَمُ

والمتعمقُ في قراءةِ النَّصِّ يلمس بوضوحٍ ركاماً من أماراتِ الملكةِ الإبداعيّةِ، والمعاني اللّطيفة، ويدلّلُ على ذلك استنطاقِ الشَّاعر ظواهر السَّماء، إذْ شبّه ذاته بالثُّرَيَّا الخالدةِ الأزليّةِ التي لا تقل ديمومةً ورسوخاً وبقاءً، وإنّما تظلُّ منارةً سامقةً؛ ليقنعنا بأنَّ كلَّ عملٍ شعري له شديد الاكتناز، عميق الإيحاء، سخي التّأويل، وليس إلا تجلياً لإنجازاته المائزة. وهكذا لا نرى عجباً عندما يستثمرُ نجماً فيه محصول دلالي، تنفسّخُ فيه آمادُ الرّؤية، وتنفتح فيه كوىً أكثرَ جموحاً ونفوراً، وتتوثّبُ له قيمُ السُّمو والتّرفع عن صغائرِ الأمورِ.ومردّ ذلك اعتزازه بشاعريتهِ وبالوعي بكلِّ طاقاته الجبّارة.

ومن الشَّائقِ أنْ يتكررَ المشهدُ بطريقةٍ أكثر إخصاباً عندما لا يجد ملاذاً لتصوير نفسه سوى الجوزاء، ويخصّها بالحفاوةِ والصَّلابةِ، ويحلقُ بعيداً في عالمِها العُلوي تعبيراً عن علوِّ منطقه، وإفصاحاً عن فحولتهِ الشَّاعريّة المبدعة، فقالَ: (المتنبّي، 1 / 28)

أَنَا صَخْرَةُ الوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الجَوْزَاءُ

يحاولُ الشّاعرُ أنْ يرسمَ في خطابهِ الشِّعري صورتينِ مشرقتينِ متباينتينِ في عالمهما: الأولى كأنَّه صخرةٌ في الشِّدةِ، والثَّانية مثل الجَوْزَاء في المنطقِ لا ينافسه أو ينالـه أحد، من هنا نلحظُ أنَّه لا يرى حرجاً في تمركزِهما في علاقةٍ محوريةٍ واحدةٍ، هي شموخ أنفه وافتخاره بشعرهِ إلى عنانِ السَّماءِ، لكن ولوعه بالابتكارِ والإثراءِ قادَه إلى «جمعهما في خيالهِ على معنى التَّماثلِ، وألغى التَّنافرَ، واستبدل بها انسجاماً وتوحداً؛ ذلك لأنَّ حركةَ الشُّعورِ عنده في الاثنتينِ واحدةٌ ومتناغمةٌ» (الرّباعي، 1995م، ص183). على أنَّه ينبغي الإشارة إلى أنَّ تشبيه المتنبّي شخصيته بالصّخرةِ تارةً وبالجَوْزَاء تارةً أخرى كَانَ يستهدفُ منه أنْ «يرضي غروره ويشفي ألمَ نفسه وحقدها على الزَّمانِ والإنسانِ، وإنَّ تشبيهاته لتكشف بطريقةٍ مباشرةٍ عن نفسِ لازمها وسواس داخلي بِضَعَةٍ موروثة تصوّرتْ أنَّهَا مضطهدةٌ فإذا بها تتعالى وتتعاظم لتقهرَ الشَّامتينَ وتنتصرَ على الحاسدينَ الرَّاغبينَ في إذلالها» (عبدالجابر، 2016م، ص186).

وتنهمـرُ ظاهـرةُ إجـلاء النَّظـرِ إلـى السّـماءِ انهمـاراً متلاحقـاً بقـوةٍ، ويأتـي حضورُهـا سطوعاً، ليستثمرَها الشَّاعرُ في تمريرِ فكرتـهِ والتَّعبيرِ عن مواقفهِ ورؤاه الخاصَّـة فـي منزلـةِ الأميـر الحمدانـي، ثـمّ يربـطُ النُّجـومَ والكواكـبَ بمدائحـهِ ربطـاً جميـلاً، ويروضّهـا ترويضـاً منسـاباً حتّـى تنقـادَ لـه أيّمـا انقيـاد، فتكـونُ صالحـةً لحملِ مشـاعرِ الإعجـاب وكوامـن التَّقديـر، ومـن غـررِ شـعرهِ قولـه: (المتنبّـي، 1 / 285)

أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لامَنِي فِيكَ السُّهَا وَالفَرَاقِدُ

إنَّ السَّـماءَ لحظـةٌ تنويريـةٌ لـدن الشَّـاعرِ، وبقعـةُ ضـوءٍ يسـتمدُّ منهـا وعيـاً متسـماً بصفـةِ الشُّـمُوسِ؛ لهـذا انبهـرَ المتنبّـيّ بهـا، ووظّفهـا توظيفـاً فنّيّـاً أنيقـاً فـي نصّـه السَّـابقِ، فبعثهـا مـن مرقدِهـا، وراحَ يجمـعُ أطرافـاً وحشـوداً متعـددة كثـرةً وتوحـداً فـي صـورةٍ جماليّـةٍ محبوكـةٍ تقـومُ علـى تشـبيهٍ أخّـاذٍ فـي شـطرهِ، وعلـى اسـتعارةٍ جميلـةٍ فـي عجزهِ.فـإذا سـألتَ عـن الأميـرِ وجدتـه شمسـاً بالنّـورِ يختـالُ، وقمـراً بالحسـنِ ينثـالُ، أمَّـا غيـره فَهُـمُ النُّجـوم الخفيـة والضّعيفـة: (السُّـهَا وَالفَرَاقِد)، التـي امتلأتْ انكسـارات وخيبـات موجعـة حتّـى أصبحـتْ تلومُ الشَّـاعر على الجيشـانِ العاطفـي بـكلِّ مـا فيـهِ مـن التَّـوادِ والحـبِّ والتَّعاطـفِ إزاء أميـره الحمدانـي.

ولكـنَّ موقفَـه مـن القـوةِ والفروسـيّةِ ينجلـي عندمـا يغلـبُ علـى صـورةِ الممـدوحِ رمـوزُ النُّـور والتّفـاؤل والانبـلاج، فكَانَ قمينـاً بـأنْ يجعلَـه بـدراً منيـراً فـي السِّـلمِ علـى رعيتـهِ، بيـدَ أنَّـه يملـكُ مـرارةَ وسُـمَّ زُحَـل علـى أعدائـهِ فـي المعركـةِ، ويمضـي لاهجـاً بهـذا فـي قولـهِ: (المتنبّـي، 3 / 229)

أَنْتَ لَعَمْرِي البَدْرُ المُنِيْرُ وَلَـــــــكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الوَغَى زُحَلُ

يبـدعُ المتنبّـي صورتَـه، وينحتُهـا بيديـهِ، مـع حـذفِ قرائـن التَّشـبيه، عندمـا عـادَ مـرّة أخـرى إلـى الإخبـارِ عـن مظاهـرِ البهجـةِ والتّفاخـرِ بأميـرهِ ويضفـي عليـه نـورَ القمـرِ فـي مواطـنِ الإحسـانِ والحسـنِ، «ودائمـاً مـع جـو الانبهـارِ وأريحيـةِ العـزّةِ الملوكيـة يلجـأ الشَّـاعرُ إلـى الاسـتعانةِ بالبـدرِ المنيـرِ لأنَّـه لا يـرى أملـحَ وأكمـلَ مـن صورتـهِ المعـارة فـي صـورةِ سـيف الدّولـة، وحتّـى يكتملَ بهـاؤه يعارضـه بالنقيـضِ المطلـوب والمناسـب ألا وهـو زُحَـل فـي تصويـرِ بديـعٍ متفـرّد حتّـى يسـتفحلَ شـأن الأضـداد» (حمـادي، 2003م، ص62)، ولعـلَّ هـذا يتفـقُ مـع مـا زعـم بـه المنجمـونَ إنَّ القمـرَ سـعد، وزُحَـل نَحْـس.

من هنا نقولُ: استطاعَ المتنبّي أنْ يظهرَ جانباً ايجابيّاً ورصيداً ثرّاً من الشّعريّةِ والخيالِ الخصبِ عن طريقِ استرفادِ ظواهر السَّماء العُلويّة، واستلاب أسرار وخبايا الكواكب والنُّجوم، بالإضافةِ إلى إقامةِ مواقفه الفنيّة على مركوزاتِ الفلكِ وأبراجه، «فظلّ مسكوناً بأساطيرها وخفاياها بكلّ ما فيها من قوةٍ وأصالةٍ وتدفقٍ وحرارةٍ؛ لأنَّه كانَ إنساناً يحملُ في داخلهِ ضميرَ الشَّاعرِ الثَّائر والمتمرّد على معامعِ العاجزينَ؛ ولأنَّه رأى عالماً مجرماً يتآمرُ لاغتيالِ سطوعهِ، ويستهينُ بقلائدهِ الغرّ» (قطوس، 2000م، ص102)، اندفعَ نحو السَّماءِ ينتهبُ الهمةَ والمعالي والمجدَ، يزهو بأشعارهِ ويفتخرُ بإعمالِ فكرهِ، يرفضُ الإذعانَ ويأبى القيودَ؛ ليقينه أنَّه في سماءِ الشِّعرِ مَلِكٌ وشمسٌ والدُّنيا فلَكٌ.

الخاتمة:

أنبأتْ سياحةُ الدِّراسةِ عن ثقافةِ المتنبّي البارعةِ للمعارفِ الفلكيّةِ، تلك الثَّقافة التي أخذتْ تقدّمُ دليلاً ماثلاً على مكانتهِ الرَّحيبةِ بينَ علماءِ وأدباءِ عصرهِ، وتعدُّ أشعارُه ترجمةً حقيقيةً وفرزاً تفصيليّاً لاستقراءِ معلومات كثيرة عن النُّجُومِ والفلكِ، وقد وفّق إلى تطويعهاً وتوجيهها توجيهاً يليق برحلةِ التَّعبِ الطامحةِ، وتجربته الشِّعريّة النَّاضجة في سياقٍ فنّيّ مبدعٍ معتمداً فيه على صياغاتٍ بلاغيّةٍ وأساليب أدبيّة مشحونة بالوهجِ والإبراقِ.

وهنا، لا بدَّ من الاحتراسِ إلى أنَّ المتنبّي لم يكنْ فلكيّاً أو منجماً في تعاملهِ مع الظواهرِ الفلكيّة وإنّما تبدّت تصاويرُه عن الفلكِ وثقافتهِ عن النُّجُومِ والأنواءِ في معانيهِ الشِّعريّة على أنحاءٍ شتّى من خطاباتهِ الإبداعيّةِ.

ولعلَّ الحاجةَ إلى المنهجِ العلمي للبحثِ تستدعي إبراز أهمّ النَّتائج، وهذا ما توصل إليه الباحثانِ بالآتي:

1. امتلكَ المتنبّي ثقافةً واسعةً ومتمددةً بانفتاحهِ على علمِ الفلكِ، نحو: الظواهر الفلكيّة، والنُّجوم والمجرات، والعناقيد، ومسالك النُّجُوم، والكوكبات، والفلكيّات والطقوس والأبراج، والأفلاك والأجرام ومن ثَمَّ لا جرمَ– إذنْ-أنْ يلتقطَ الشَّاعرُ منها لحظاتٍ فاعلةً، وتأثيراتٍ دلاليّةً بالغةَ التَّكثيفِ والإيحاءِ.
2. أفادَ الشَّاعرُ من عوالمِ الأفلاكِ بطرائق مختلفة، سواء أكانَ استدعاءً مباشراً أم استقاءً أم إيماءً، ومن المعلومِ أنَّ استمدادَه للعديدِ من ظواهرهِ وأدواتهِ تحقق في معرضِ حديثهِ عن تميّزه، وإظهار فحولته الشِّعريّة على سابقيهِ ومعاصريهِ.

3. نهـلَ المتنبّـي مـن المعيـنِ الجمالـيّ والاسـتهدائي للنُّجـومِ والكواكـبِ للتّعبيـرِ عـن مزايـا ممدوحيـه السّـارّة، عـلاوةً علـى ملاحـةِ حبيبتـه الفاتنـة، بالإضافـة إلـى الرّغبـةِ بالإفصـاحِ عـن أحاسيسـهِ الدافئـةِ إزاء فقيـده مـن خـلال مـراثٍ حفّـت بمدلـولاتِ اللّيـن والحلـم والرّحمـة، حتّـى أصبحـتِ النُّجـومُ ميدانـاً فسـيحاً للاستبشـارِ والمسرّةِ، بوصفهـا أسـرجةً تضـيء الـدُّروبَ، وأدلـةً ناطقـةً علـى الاهتـداءِ والاستكشـافِ.

4. لـم يقـفْ انفتـاحُ المتنبّـي فـي أشـعارهِ على العلـومِ الفلكيّـة باسـتحضارِ الظواهر والأسـماء وعـرض معلوماتهـا فحسـب، بـل تعـدّى ذلـك إلـى توظيفِهـا توظيفـاً أدبيّـاً فنّيـاً معبئـاً فـي سـياقاتٍ شـعريّةٍ مرصوفـةٍ، متّسـقة اتّسـاقاً محكمـاً، ومتفقـة اتّفاقـاً شـموليّاً، فـي براعـةٍ جماليّـةٍ تتسـاوقُ مـع لغـةِ العلـمِ الدَّقيقة.حتّـى تطـورَ الأمـرُ بعـد ذلـك فمنحهـا شـيئاً مـن العلاقـاتِ الإنسـانيّةِ، حيـثُ خلـعَ عليهـا صفـاتٍ بشـريةً فيهـا مشـاعر إنسـانيّة متبادلـة.

5. تأمّـلَ الشّـاعرُ السّـماءَ تأمّـلاً بليغـاً، وأجـالَ النَّظـرَ فـي آفاقهـا، فطـوّع نجومَهـا وكواكبَهـا وشمسَـها وقمرَهـا فـي مواجهـةِ مواقـف وجدانيّـة كالفـرحِ والحـزنِ والانكسـارِ فـي أنسـاقٍ محـلاّة بأسـلوبٍ أدبـيّ مصقـولِ التَّصويـرِ والنَّظـمِ.

6. نالـتِ الشَّـمسُ وإشـعاعاتها والانفتـاحُ علـى متعلقاتهـا فـي أشـعارِ المتنبّـي حظـوةً وافـرةً ومنزلـةً رفيعـةً مـن العنايـةِ والاهتمـامِ، حيـثُ اسـتغلَّها ونقلهـا إلـى أمدوحاتـهِ، وحسـبنا الاكتفـاء بإيـرادِ مثـالٍ واحـدٍ علـى ذلـك، تبـدّى بصـورةِ سـيفِ الدّولـة، ومـا فيهـا مـن فيـضِ الهبـات، وجزيـل الصِّلات.فقـد طفقـتْ تكتنـزُ بسـماتٍ أثيـرةٍ بـدءاً بصورتِهـا ومـروراً بالمسـتوياتِ التَّعبيريّـة المقصـودة التـي أضاءهـا الشَّـاعرُ لهـا.

7. رأى الشَّـاعرُ فـي الفضـاءِ السَّماوي الخارجـي وأبعـادهِ المنظـورةِ مثـالاً مذهـلاً لغاياتـهِ وطموحاتـهِ وصرخاتـه النَّفسـيّة، فـراحَ يسـتلهم مـا يتـواءم مـع رؤاه ومـا يتطلـع إليـه بعـد أنْ اتّخـذَ مـن بعـضِ مصطلحاتـه ومداراتـه ركائـزَ شـامخةً ومنيعـةً لابتـداعِ صـور شـعريّة ذكيّـة متحركـة فـي الفضـاءاتِ الشَّـعريّةِ ومـداراتِ الخلـودِ.ولا عجـب أن يبـدو ذلـك، وقـد نظـرَ إلـى الشُّـعراءِ بتهكـمٍ وسـخريةٍ كونهـم عاجزيـنَ عـن الإنشـادِ أمامـه أو اللّحـاق بـه.

8. اتّـكأ المتنبّـي فـي تشـبيهاتهِ وتوظيفاتـهِ الفنّيّـةِ علـى القمـرِ وأنـوارهِ لمـا يحملُـه مـن دلالاتِ الجمـالِ والبهـاءِ، فانعكسـتْ تلـك المعانـي والمبالغـات فـي إطـارِ حديثـهِ عـن نـورِ ورفعـةِ وجـه ممدوحـه بلفحـةٍ دافئـةٍ، فضـلاً عـن تصويـرهِ حسـن وجـه أنثـاه ونضارتـه. وعنـدَ اسـتعراضِ كلّ الشّـواهد التَّوظيفيّـة لأحـوالِ القمـرِ نجـد أنَّـه اتّخذهـا سُـبلاً مختلفـةً؛ للتّعبيـرِ عمّـا أرادَ سـواء أكانـتْ اسـتعظاماً أو احتجاجـاً أم استحسـاناً أو متعـةً.

9. وَلـجَ الشَّـاعرُ عالـمَ الأبـراج والنُّجُـوم، وتفاعـلَ معهـا تفاعـلاً صريحـاً بوصفهـا مـادةً رافـدةً، أسـهمتْ فـي إخصـابِ أخيلتـه وتشـكيلاته الفنّيّـة، بمرجعيـات ثقافيّـة رصينـة أكثر حافزيّـةً، اسـتثمرَ احتمالاتهـا الدّلاليّـة التـي ترتبـطُ بمعانـي النَّحـسِ والسّـعدِ والشّـقاوةِ والبـؤسِ، فأنجـزَ نصّـاً شـعريّاً جديـداً، بعـدّهِ مشـروعاً إبداعيّـاً ناجـزاً لـه القـدرة علـى الإمتـاعِ وإثـارةِ اللّـذة.

قائمة المصادرِ والمراجع:ِ

القرآن الكريم.

آدم، تماضر (2000). الشَّمسُ والقمرُ في القرآنِ الكريم [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة.

إسماعيل، عزّ الدين (1988). التّفسيرُ النَّفسي للأدبِ. دار العودة.

البديعي، يوسف (1308هـ). الصُّبح المنبي عن حيثية المتنبّي، على هامشِ شرح العكبري. المطبعة العامرة الشرفية.

البغدادي، الخطيب (1399هـ). خزانة الأدب (ط4). (تحقيق عبد السلام هارون) .

بلاشير، ريجيس (2001). أبو الطيب المتنبّي، دراسة في التّاريخ الأدبيّ (ترجمة إبراهيم الكيلاني). اتّحاد الكُتّاب العرب.

بومنجل، عبدالملك (2010). مماطلة المعنى في شعرِ المتنبّي. عالم الكتب الحديث.

ثقفان، عبدالله (2019). أحمد بن حربون، من شعراءِ الأدبِ التّاريخي في الأندلسِ. كِتاب المجلّة العربيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة.

الجاحظ، عمرو بن بحر (د.ت). الحيوان (ط3). (تحقيق عبد السّلام هارون) .

الجرجاني، عبد القاهر (د.ت). دلائلُ الإعجازِ في علمِ المعاني. (تحقيق محمود شاكر) . مكتبة الخانجي.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز (د.ت). الوساطةُ بين المتنبّي وخصومه. (تحقيق محمّد أبو الفضل ومحمّد البجاوي) . المكتبة العصريّة.

الجـزّار، محمّـد (1990). الصُّـورةُ الشّـعريّةُ والتّشـكيلُ الجمـالي عنـدَ محمـودِ درويـش في كتـابِ: (المختلـف الحقيقي). دار الـشّروق للنّـشرِ والتّوزيع.

ابن جعفر، قدامة (1963). نقدُ الشِّعر (ط2). (تحقيق كمال مصطفى) . مكتبة الخانجي.

الجندي، إنعام (1992). المتنبّي والثّورة. دار الفكر العربي.

حمادي، عبدالله (2003). الكواكبُ في شعرِ المعتمد بن عبّاد الأندلسي. مجلّة كلية الآداب، *6*(48)، 62-49.

حوّر، محمّد (2004). أشتات. المؤسسة العربيّة للدّارسات والنّشر.

حوّر، محمّد (2007). هكذا تألّم المعرّي. وزارة الثّقافة.

أبـو الخـير، محمـود (2017). الشِّـعرُ في عيـون مبدعيـه. في عبـد الباسـط الزيود (محـرر)، صُـوىً معرفيـة، (ص. ص.358، 361، 362،)، دار أروقة.

الدّروبي، محمّد (2007). التّهمُ الموجهة إلى الجاحظِ. مجلّة عالم الفكر، 35(4)، 245.

الدّسوقي، عبدالعزيز (2006). أبو الطيب المتنبّي، شاعر العروبة وحكيم الدّهر. المؤسسة العربيّة للدراساتِ والنّشرِ.

الدوغان، محمّد (2010). صورةُ الفَلكِ في الشِّعرِ العربي في العصورِ العبّاسية، مجلّة الدِّراسات العربيّة، 2(22)، 977-976.

الدينوري، ابن قتيبة (1956). كتاب الأنواء في مواسم العرب، دار المعارف العثمانيّة.

الرّبابعة، موسى (2004). القيمةُ وقراءة النّصّ، علامات، النّادي الأدبيّ، 14(ج40)، ص172.

الرّباعي، عبدالقادر (1995). الصُّورةُ الفنيّة في النّقدِ الشّعري (ط2). مكتبة الكتاني.

الرّباعي، عبدالقادر (2002). صورٌ من المفارقةِ في شعرِ عرار. دار أزمنة للنشرِ والتّوزيعِ.

رضوان، ياسر (2018). الشّمس في شعر المعري. شبكة الألوكة.

رومية، أحمد (1996). شعرنا القديم والنّقد الجديد (ع 207). عالم المعرفة.

زايد، علي عشري (1997). استدعاء الشّخصيات التّراثيّة في الشِّعرِ العربي المعاصر. دار الفكر العربي.

الزّعيمر، أحلام (2002). أبو العتاهية بين الرّغبة والزهد. مجلّة عالم الفكر المجلس الوطني للثّقافة والفنون، 31(1)، 256.

زوباري، فوزية (2007). الأنثى ودلالاتها الرّمزيّة في شعرِ المعرّي. مجلّة التّراث العربي، 228-108.

سهيل، ديلم (2008). الكواكبُ والنُّجُومُ ودلالتها في الشِّعرِ الأُموي. مجلّة الأستاذ، جامعة بغداد، 447-72.

شاكر، محمود (1978). المتنبّي، رسالة في الطريقِ إلى ثقافتنا. مطبعة المدني.

شامي، يحيى (1982). النُّجومُ في الشِّعرِ العربي القديم حتّى أواخر العصر الأموي. منشورات دار الآفاق.

الشيراوي، يوسف (2004). أطلس المتنبّي. المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر.

عبد الجابر، سعود (2016). الشِّعر في رحابِ سيف الدّولة. وزارة الثّقافة.

عبد الستّار، لبيب (1986). الحضارات. دار المشرق.

عبدالغني، جلال (2009). عبد ربّه الأندلسي وشعر الغزل الرّقيق. مجلّة الكرمل أبحاث في اللّغةِ والأدبِ، 26-30. دار الشّروق.

عبيد، حميد (2014). من قصّ الثورة إلى ثورة القص. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدّولي الثّاني لكلية الآداب والعلوم التّربويّة. جامعة عجلون.

عزام، عبد الوهّاب (1956). ذكرى أبي الطيب (ط2). دار المعارف.

عليمات، يوسف (2006). جماليات التّحليل الثّقافي: اعتذاريات النّابغة الذّبياني أنموذجاً. مجلّة عالم الفكر (المجلس الوطني للثقافة والفنون)، 35(1)، 75.

عليمات، يوسف (2004). جماليات التّحليل الثّقافي، الشِّعر الجاهلي أنموذجاً. المؤسسة العربي للدّراسات والنّشر.

فضالة، حسن (2013). أنماطُ المفارقةِ في شعرِ أحمد مطر. مجلّة كلية التّربية الأساسيّة، *10*، 249.

الغذامي، عبدالله (2005). النّقد الثّقافي (ط3). المركز الثّقافي العربي.

قطّوس، بسام (2000). مقارباتٌ نصيّةٌ في الأدبِ الفلسطيني الحديث. مؤسسة حمادة.

القلقشندي، أحمد بن علي (د.ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مصوّرة الطبعة الأميرية.

الكركي، خالد (1999). الصّائحُ المحكي. المؤسسة العربيّة.

المتنبّي، أبو الطيب (1997). الديوان بشرح أبي البقاء العُكبري، المسمّى التّبيان في شرحِ الدّيوان. دار الكتب العلميّة.

المرازيق، أحمد (2009). جماليات النّقد الثّقافي: نحو رؤية الأنساق الثّقافيّة في الشِّعرِ الأندلسي. المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر.

المرزوقي، أحمد بن محمّد (1996). الأزمنة والأمكنة. (تحقيق خليل المنصور). دار الكتب العلميّة.

ابن منظور، جمال الدّين (1978). لسانُ العربِ. الدّار المصريّة للتأليفِ والتّرجمةِ.

الهويدي، عبدالرحمن (2011). الصّورة الفنّيّة في شعرِ جرير. مجلّة كلية الآداب جامعة منتوري قسنطينة، *12*، 106.

يوسف، مي (2011). جماليات السّرديات التّراثية، دراسات تطبيقيّة في السّردِ العربي القديم. دار المأمون للنشرِ. طُبعَ بدعم من وزارةِ الثّقافة.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanization Arabic References:

alqurʾānu alkarīmu

ʾādamu tumāḍira 2000). al-shamsu wa-al-qamaru fī alqurʾāni alkarīmi risālata mājistīri ghayri manshūratin jāmiʿata alqurʾāni alkarīmi wa-al-ʿulūmi alʾislāmiyyati

ʾismāʿyl ʿizza al-dīni 1988). al-tafsīru al-nafsiyyu lil-ʾdabi dāru alʿawdati

albadīʿiyyu yūsf 1308h). al-ṣubḥa al-mnby ʿan ḥaythiyyati almutanabbiyyi ʿalā hāmishi sharḥi alʿikbiriyyi almiṭbaʿatu alʿāmiratu al-sharafiyyatu

albaghdādiyyu alkhaṭība 1399h). khizānata alʾdabi ṭ (taḥqīqa ʿabdi al-sullāmi hārūna

blāshyr ryjys 2001). ʾabū al-ṭayyibi almutanabbiyya dirāsatan fī al-tārīkhi alʾdabiyyi tarjamata ʾibrāhym alkaylāniyya ittiḥāda alkuttābi alʿaribi

bwmnjl ʿabdālmalika 2010). mumāṭalata almuʿannā fī shiʿri almutanabbiyyi ʿālamu alkutubi alḥadytha

thaqqafāni ʿabdāllta 2019). ʾaḥamida bn ḥaribūna min shuʿrāʾi alʾdabi al-tārīkhiyyi fī alʾandalusi kitābu almajallati alʿarabiyyati maktabata almaliki fahaddi alwaṭaniyyati

aljāḥiẓu ʿumrū bn baḥri d t alḥayawāna ṭ (taḥqīqa ʿabdi al-salāami hārūna

aljurjāniyyu ʿabda alqāhiri d t dalāʾilu alʾiʿjāzi fī ʿilmi al-mʿāny (taḥqīqu maḥmūdu shākiru maktabata al-khānjy

aljurjāniyyu ʿuliya bn ʿabdi alʿazīzi d t alwasāṭatu bayna almutanabbiyyi wakhuṣūmihi (taḥqīqu muḥammadu ʾabū alfaḍli wamuḥammadi al-bjāʾī almaktabata alʿaṣriyyata

aljazzāru muḥammada 1990). al-ṣūratu al-shiʿriyyatu wa-al-tashkīlu aljamāliyyu ʿinda maḥmūdi darwīshin fī kitābi almukhtalifu alḥaqīqiyyu dāra al-sharwq lil-nashri wa-al-tawzīʿi

ibna jaʿfarin quddāmata 1963). naqdu al-shiʿri ṭ (taḥqīqa kamāli muṣṭafā maktabata al-khānjy

aljundiyyu ʾinʿāma 1992). almutanabbiyya wa-al-thawrata dāru alfikri alʿarabiyyi

ḥammādiyyun ʿabdāllta 2003). alkawākibu fī shiʿri almuʿtamadi bn ʿibādi alʾandalusiyyi majallatu kulliyyati alʾādābi 6(48)62 49- ،.

ḥawwara muḥammada 2004). ʾashatātun almuʾassasatu alʿarabiyyatu lil-dārisāti wa-al-nashri

ḥawwara muḥammada 2007). hakadhā taʾallumi al-mʿrry wizāratu al-thaqāfati

ʾabū alkhayri maḥmūda 2017). al-shiʿru fī ʿuyūni mubdiʿīhu fī ʿabdi albāsiṭi al-zuyūda muḥarrira ṣūā maʿrifiyyata ṣ ṣ 358 ،(362 ،361 ،dāra ʾarwiqatin

al-durūbiyyu muḥammada 2007). al-tuhamu almūʾajjahatu ʾilā aljāḥiẓi majallatu ʿālami alfikri 35(4)245 ،.

al-dasūqiyyu ʻabdālʻazīza 2006). ʾabū al-ṭayyibi almutanabbiyya shāʻira alʻurūbati waḥakīmi al-dahri almuʾassasatu alʻarabiyyatu lil-dirāsāti wa-al-nashri

al-dawwaghāni muḥammada 2010). ṣūratu alfalaki fī al-shiʻri alʻarabiyyi fī al-ʻṣwri alʻabbāsiyyata majallata al-dirāsāti alʻarabiyyati 2(22)977 976- ،.

al-dīnawariyyi ibna qutaybati 1956). kitāba alʾanwāʾi fī mawāsimi alʻarabi dāra almaʻārifi alʻuthmāniyyati

al-rbābʻah mūsā 2004). alqīmatu waqirāʾtu al-naṣṣi ʻalāamātin al-nādy alʾdabiyya 14(j ṣ

al-rubāʻiyyu ʻabdālqādira 1995). al-ṣūratu alfanniyyatu fī al-naqdi al-shiʻriyyi ṭ maktabata alkattāniyyi

al-rubāʻiyyu ʻabdālqādira 2002). ṣūrun mina almufāraqati fī shiʻri ʻarārin dāru ʾazminatin lil-nashri wa-al-tawzīʻi

riḍwānun yāsira 2018). al-shamsa fī shiʻri al-mʻry shabakatu al-ʾlwkah

rūmiyyatun ʾaḥamida 1996). shaʻaranā alqadīmu wa-al-naqdu aljadīdu ʻ 207). ʻālama almaʻrifati

zāyada ʻuliya ʻashruy 1997). istidʻāʾa al-shakhṣiyyāti al-turāthiyyati fī al-shiʻri alʻarabiyyi almuʻāṣiri dāru alfikri alʻarabiyyi

al-zaʻymu ʾḥlāama 2002). ʾabū alʻatāhiyyati bayna al-raghbati wa-al-zuhdi majallatu ʻālami alfikri almujlisi alwaṭaniyyi lil-thaqāfati wa-al-funūni 31(1)256 ،.

zwbāry fawziyyata 2007). alʾunthā wadalālātihā al-ramziyyati fī shiʻri al-mʻrry majallatu al-turāthi alʻarabiyyi 108- 228.

suhaylun daylama 2008). alkawākibu wa-al-nujūmu wadalālatuhā fī al-shiʻri alʾumawiyyi majallatu alʾustādhi jāmiʻata baghdādi 72- 447.

shākirun maḥmūda 1978). almutanabbiyya risālatan fī al-ṭarīqi ʾilā thaqāfatinā miṭbaʻatu almadaniyyi

shāmiyyun yaḥyā 1982). al-nujūmu fī al-shiʻri alʻarabiyyi alqadīmi ḥattā ʾwākhr alʻaṣra alʾumawiyya manshūrātu dāri alʾāfāqi

al-shyrāʾī yūsf 2004). ʾaṭlasa almutanabbiyyi almuʾassasatu alʻarabiyyatu lil-dirāsāti wa-al-nashri

ʻabdu aljābiri suʻūda 2016). al-shiʻra fī riḥābi sayfi al-dawlati wizāratu al-thaqāfati

ʻabdu al-sitāri labība 1986). alḥaḍāarāti dāru almashriqi

ʻabdālghaniyyun jalāala 2009). ʻabda rabbihi alʾandalusiyyi washiʻri alghazali al-raqyqi majallatu alkarmali ʾabaḥḥāthun fī al-lughati wa-alʾdabi 30- 26. dāru al-shurūqi

ʻabīdun ḥamīda 2014). min qaṣṣi al-thawrati ʾilā thawrati alqaṣṣi waraqatu ʻamali muqaddamati ʾilā almuʾtamari al-dawliyyi al-thāny likulliyyati alʾādābi wa-alʻulūmi al-tarbawiyati jāmiʻatu ʻajilūna

'azzāmun 'abda alwahhābi 1956). dhikrā 'abī al-ṭabībi ṭ dāra alma'ārifi

'alīmātun yūsf 2006). jamālīāti al-taḥlīli al-thaqāfiyyi i'tidhārīātu al-nābighati al-dhubyāniyyi 'anamūdhajan majallatu 'ālami alfikri almajlisa alwaṭaniyya lil-thaqāfati wa-al-funūni 35(1)، 75.

'alīmātun yūsf 2004). jamālīāti al-taḥlīli al-thaqāfiyyi al-shi'ra aljāhiliyya 'anamūdhajan almu'assasatu al'arabiyyu lil-dirāsāti wa-al-nashri

faḍāllatun ḥusna 2013). 'animāṭu almufāraqati fī shi'ri 'aḥamida maṭarun majallatu kulliyyati al-tarbiyati al'asāsiyyati 10249 ،.

al-ghdhāmy 'abdāllta 2005). al-naqda al-thaqāfiyya ṭ almarkaza al-thaqāfiyya al'arabiyya

qṭṭws bisāmmi 2000). muqārabātun naṣṣiyyatun fī al'dabi alfilasṭīniyyi alḥadythi mu'assasatu ḥammādatu

alqalqashandiyyu 'aḥamida bn 'aliyyu d t ṣubḥa al'shā fī ṣinā'ati al'inshā muṣawwiratu al-ṭab'ati al'amīriyyati

alkurkiyyu khālida 1999). al-ṣā'iḥu almiḥakkiyyu almu'assasatu al'arabiyyatu

almutanabbiyyu 'abū al-ṭayyibi 1997). al-dīūāna bisharḥin 'abī albaqā'u al-'ukbry almusammā al-tibyāna fī sharḥi al-dīūāni dāru alkutubi al'ilmiyyati

al-mrāzyq 'aḥamida 2009). jamālīāti al-naqdi al-thaqāfiyyi naḥwa ru'yati al-'nsāq al-thaqāfiyyata fī al-shi'ri al'andalusiyyi almu'assasatu al'arabiyyatu lil-dirāsāti wa-al-nashri

almarzūqiyyu 'aḥamida bn muḥammadu 1996). al'azminata wa-al-'āmkinata (taḥqīqu khalīlu almanṣūri dāra alkutubi al'ilmiyyati

ibna manẓūrin jamāla al-dīni 1978). lisānu al'arabi al-dāru almiṣriyyatu lil-ta'līfi wa-al-tarjamati

alhū'aydiyyu 'abdālraḥmana 2011). al-ṣūrata alfanniyyata fī shi'ri jarīrin majallatu kulliyyati al'ādābi jāmi'ata mntwry qusanṭīnatan 12106 ،.

yūsf mayya 2011). jamālīāti al-sardīāti al-tarāthyah dirāsātin taṭbīqiyyatin fī al-sardi al'arabiyyi alqadīmi dāru alma'mūni lil-nashri ṭubi'a bidu'umin min wizārati al-thaqāfati

Stars and Planets in al-Mutanabbi's Poetry: A Thematic Artistic Study

Ibrahim Mustafa Aldhoon[1]

Fatimah Hasan Al-Sarahinah[2]

Abstract:

This study aims to draw attention to an artistic phenomenon that al-Mutanabbi dealt with and disseminated in an important share of his poetry, to become part of his everyday life and the changes it witnessed. If al-Mutanabbi is well-known to people and the world, the study would stop at an issue that engaged the reader and provided him/her with enriching visual images about the poet's knowledge of stars and planets, particularly his deep awareness of their meanings and his understanding of their aesthetic dimensions and values, which are closely related to the subjects he was concerned with. In any case, this research will expose the poet's handling and use of celestial bodies in his poems as argumentative tools capable of rising above all considerations, as reflected in the terminology that informs textual structures. To this aim, the researchers explored, at the logical level, two major axes in Al-Mutanabbi's poetry: (1) the meanings of planets, stars and celestial bodies in the poetry of Al-Mutanabbi; and (2) the effect of employing the beauty of the sky and its pearls in making up the artistic image.

Keywords: Planets, Stars, Al-Mutanabbi, Objects, Image, Abbasid.

(1) Faculty of Arts - The Hashemite University (Zarqa - Jordan)
ibrahimdhoon@yahoo.com
(2) Faculty of Arts - The Hashemite University (Zarqa - Jordan)